سُورَةُ النَّبَإِ

مكيــة وآياتها أربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾
وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا
مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ
أَلْفَافًا ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

عم[1]	: أي عن أيّ شيء؟
يتساءلون	: أي يسأل بعض قريش بعضا.
عن النبأ العظيم	: أي ما جاء به محمد ﷺ من التوحيد والنبوة والبعث الآخر.
الذي هم فيه مختلفون	: أي ما بين مصدق ومكذب.
سيعلمون	: عاقبة تكذيبهم عند نزع أرواحهم وعند خروجهم من قبورهم.
أوتادا	: أي تثبت بها الأرض كما تثبت الخيمة بالأوتاد.
سباتا	: أي راحة لأبدانكم.

(١) عم أصلها عن ما فادغمت النون في الميم فصارت عما وحذفت الألف تخفيفاً فصارت عم فعن حرف جر وما خرف استفهام، وقدم الاستفهام لما له من حق الصدارة وأصل التركيب يتساءلون عن أي شيء؟

لباسا : أي ساتراً بظلامه وسواده.
وجعلنا النهار معاشا : أي وقتا للمعاش كسبا وأكلا.
شدادا : أي قوية محكمة الواحدة شديدة والجمع شداد.
سراجا وهاجا : أي ضوء الشمس وهاجا وقاداً.
المعصرات : أي السحابات التي حان لها أن تمطر كالجارية المعصر التي دنا وقت حيضها.
ثجّاجا : أي صبابا.
وجنات ألفافا : أي بساتين ملتفة.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿عم يتساءلون﴾ أي عن أي شيء يتساءل رجال قريش فيسأل بعضهم بعضا إنهم يتساءلون عن[1] النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون إنه ما جاء به محمد ﷺ من التوحيد والنبوة والبعث الآخر. قال تعالى ردعا لهم وتخويفا كلا سيعلمون[2] عند نزع أرواحهم عاقبة تكذيبهم لرسولنا وإنكارهم لتوحيدنا ولقائنا، ثم كلا سيعلمون[3] يوم يبعثون من قبورهم ويحشرون إلى نار جهنم حين لا ينفعهم علم ولا يجديهم إيمان. وقوله تعالى ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً﴾ الآيات فذكر تعالى من مظاهر القدرة والعلم والرحمة والحكمة ما يوجب الإيمان به وبتوحيده ورسوله ولقائه لو كان القوم يعقلون فقال ﴿ألم نجعل الأرض[4] مهادا﴾ أي فراشا ووطاء للحياة عليها؟ وهل يتم هذا بدون علم وقدرة والجبال أوتادا تثبت الأرض بها فيأمنون على حياتهم من الميدان وسقوط كل بناء وخلقناكم أزواجا الخلق مظهر من مظاهر القدرة والعلم وكونهم أزواجا مظهر[5] من مظاهر الحكمة والرحمة وجعلنا نومكم سباتا أي راحة لأبدانكم. وجعلنا الليل لباسا ساترا بظلامه. وجعلنا النهار معاشا للعيش كسبا له وتمتعا به. وبنينا فوقكم سبعا شدادا وهي السموات

---

(١) عن النبأ العظيم متعلق بمحذوف تقديره يتساءلون عن النبأ العظيم وهو الخبر الكبير وهو البعث بعد الموت إذ العرب فيه ما بين مصدق ومكذب، ويدل عليه السياق.

(٢) كلا حرف ردع ومعمول سيعلمون محذوف تقديره «سيعلمون» بما فيه تكذيبهم بالبعث والنبوة والتوحيد.

(٣) كلا هنا بمعنى حقاً سيعلمون صحة ما هم به مكذبوه وله منكرون.

(٤) هذا الاستئناف المبدوء باستفهام تقريري جاء لعرض مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته وهي موجبات إيمان به وبلقائه ونبوة رسوله وعبادته وحده دون سواه.

(٥) الزوج: هو مكرر الواحد وشاع إطلاق الزوج على كل من الذكر والأنثى فالرجل زوج لأنثاه والمرأة زوج لزوجها.

السبع الشديدة القوية البناء لا تفنى ولا تزول إلى أن يأذن هو سبحانه وتعالى بزوالها، وجعلنا سراجا وهاجا هو الشمس المشرقة المضيئة. وأنزلنا من المعصرات أي السحابات التي حان لها أن تمطر تشبيهاً لها بالجارية المعصر التي قاربت الحيض ماء ثجاجا صبابا وابلا، وذلك لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا الحب كالبر والذرة لطعامكم، والنبات كالكلأ والعشب لحيواناتكم، وجنات أي بساتين ملتفة الأشجار غنّاء بالثمار المختلف الألوان، والطعوم كل هذه المذكورات مفتقرة إلى قدرة لايعجزها شيء وعلم أحاط بكل شيء وحكمة لا يخلو منها شيء ورحمة تعم كل شيء والله وحده ذو القدرة والعلم والحكمة والرحمة فكيف ينكر توحيده ويكذب رسوله، ويستبعد بعثه للناس يوم القيامة لحسابهم ومجازاتهم على أعمالهم في هذه الدار وهي مختلفة منها الصالح ومنها الفاسد هل من الحكمة في شيء أن يظلم الظالمون ويفسد المفسدون، ويعدل العادلون ويصلح المصلحون ويموتون سواء ولا يكون هناك حياة أخرى يجزي فيها المسيء بإساءته والمحسن بإحسانه اللهم لا لا إنه لابد من حياة أخرى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- مظاهر القدرة والعلم والحكمة والرحمة الإلهية في كل الآيات من قوله ألم نجعل الأرض مهادا إلى قوله وجنات ألفافا.

٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء والنبوة والتوحيد وهي التي اختلف الناس فيها ما بين مثبت وناف، ومصدق ومكذب.

٣- سيحصل العلم الكامل بهذه المختلف فيها بين الناس عند نزع الروح ساعة الموت، ولكن لا فائدة من العلم ساعتها إذ قضي الأمر وانتهى الخلاف.

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ
مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟

لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ
أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات :

إن يوم الفصل : أي الفصل بين الخلائق ليجزي كل امرىء بما كسب.

كان ميقاتا : أي ذا وقت محدد معين لدى الله عز وجل فلا يتقدم ولا يتأخر.

يوم ينفخ في الصور : أي يوم ينفخ اسرافيل في الصور.

فتأتون أفواجا : أي تأتون أيها الناس جماعات جماعات إلى ساحة فصل القضاء.

وفتحت السماء : أي لنزول الملائكة.

وسيرت الجبال : أي ذُهب بها من أماكنها.

فكانت سرابا : أي مثل السراب فيتراءى ماء وهو ليس بماء فكذلك الجبال.

إن جهنم كانت مرصادا : أي راصدة لهم مرصدة للظالمين مرجعا يرجعون إليها.

لابثين فيها أحقابا : أي دهورا لا نهاية لها.

لايذوقون فيها بردا : أي نوما ولا شرابا مما يشرب تلذذا به إذ شرابهم الحميم.

وغساقا : أي ما يسيل من صديد أهل النار، جوزوا به عقوبة لهم.

جزاء وفاقا : إذ لا ذنب أعظم من الكفر، ولا عذاب أعظم من النار.

كذابا : أي تكذيبا.

فلن نزيدكم إلا عذابا : أي فوق عذابكم الذي أنتم فيه.

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى آيات قدرته على البعث والجزاء الذي أنكره المشركون واختلفوا فيه ذكر في هذه الآيات عرضا وافيا للبعث الآخر وما يجري فيه، وبدأ بذكر الأحداث للانقلاب الكوني، ثم ذكر جزاء الطاغين تفصيلا فقال عز وجل ﴿إن يوم الفصل﴾ أي بين الخلائق كان ميقاتا[1] لما أعد الله للمكذبين بلقائه الكافرين بتوحيده المنكرين لرسالة نبيه فيه، يجزيهم الجزاء الأوفى، ثم ذكر تعالى أحداثا تسبقه فقال ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ أي يوم ينفخ إسرافيل نفخة البعث وهي الثانية فتأتون أيها الناس أفواجا أي جماعات. ﴿وفتحت السماء﴾ أي انشقت ﴿فكانت أبوابا﴾ لنزول الملائكة منها ﴿وسيرت الجبال فكانت سرابا﴾ هباء منبثا كالسراب في نظر الرائي. وقوله تعالى

(١) قال القرطبي : أي وقتاً مجمعاً للأولين والآخرين لما وعد الله من الجزاء وسمي يوم الفصل لأن الله تعالى يفصل فيه بين الخلائق.

﴿إن جهنم كانت مرصادا﴾[1] أي إنه بعد الحساب يأتي الجزاء وهاهي ذي جهنم قد أرصدت واعدت فهي مرصاد،مرصاد لمن؟ للطاغين المتجاوزين الحد الذي حدد لهم وهو أن يؤمنوا بربهم ويعبدوه وحده ويتقربوا إليه بفعل محابه وترك مكارهه فتجاوزوا ذلك إلى الكفر بربهم والإشراك به وتكذيب رسوله وفعل مكارهه وترك محابه هؤلاء هم الطاغون الذي أرصدت لهم جهنم فكانت لهم مرصادا ومرجعا ومآبا ﴿لابثين فيها أحقابا﴾[2] أي دهورا، ﴿لا يذوقون فيها بردا﴾[3] أي نوما لأن النوم يسمى البرد في لغة بعض العرب، ﴿ولا شرابا﴾ ذا لذة ﴿إلا حميما﴾ وهو الماء الحار ﴿وغساقا﴾ وهو ما يسيل من صديد أهل النار ﴿جزاء وفاقا﴾ أي موافقا لذنوبهم لأنه لا أعظم من الكفر ذنبا ولا من النار عذابا ثم ذكر تعالى مقتضى هذا العذاب فقال ﴿إنهم كانوا لا يرجون حسابا﴾ أي ماكانوا يؤمنون بالحساب ولا بالجزاء ولا يخافون من ذلك ﴿وكذبوا بآياتنا كذّابا﴾ أي بآياته وحججه تكذيبا زائدا. وقوله تعالى ﴿وكل شيء أحصيناه كتابا﴾ إذ كانت الملائكة تكتب أعمالهم وتحصيها عليهم فهم يتلقون جزاءهم العادل ويقال لهم توبيخا وتبكيتا وهم في أشد العذاب وأمرّه ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا﴾[4] فيعظم عندهم الكرب ويستحكم من نفوسهم اليأس. وهذا جزاء من تنكر لعقله فكفر بربه وآمن بالشيطان وعبد الهوى. والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ التنديد بالطغيان وبيان جزاء الظالمين.

٢ـ التنديد بالتكذيب بالبعث والمكذبين به.

٣ـ أعمال العباد مؤمنهم وكافرهم كلها محصاة عليها ويجزون بها.

٤ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر آثارها.

٥ـ أبديّة العذاب في الدار الآخرة وعدم امكان نهايته.

---

(١) قال الحسن: إن على النار رصداً لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز عليه فمن جاء بجواز جاز ومن لم يجيء بجواز حُبس والمرصاد: المكان للرصد أي الرقابة.

(٢) قال القرطبي: أي ماكثين في النار ما دامت الأحقاب وهي لا تنقطع كلما مضى حقب جاء حقب والحقب بضمتين والأحقاب الدهور والحقبة بالكسرة السنة والجمع حقب قال الشاعر:

كنا كندمانَيْ جذيمة حقباً   من الدهر حتى قيل لنا يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالك   لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

والحقب بالضم والسكون ثمانون سنة.

(٣) من شواهد البرد بمعنى النوم قول العرب منع البرد البرد. أي منع البرد النوم ومنه قول الشاعر:

ولو شئت حرمت النساء سواكم   وإن شئت لم أطعم نقاخاً ولا بردا

(٤) قال أبو برزة سألت النبي ﷺ عن أشد آية في القرآن؟ فقال: قوله تعالى: (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا).

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا
دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً
حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ
مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن
شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات:

إن للمتقين : أي الذين اتقوا الشرك والمعاصي خوفا من ربهم وعذابه.

مفازا : أي مكان فوز ونجاة وهو الجنة.

حدائق وأعنابا : أي بساتين وأعنابا.

وكواعب : أي شابات تكعبت ثديهن الواحدة كاعب والجمع كواعب.

أترابا : أي في سن واحدة وأتراب جمع واحده تِرب.

وكأسا دهاقا : أي خمرا كأسها ملأى بها.

لايسمعون فيها : أي في الجنة لغوا أي باطلا ولا كذبا من القول.

عطاء حسابا : أي عطاء كثيرا كافيا يقال أعطاني فأحسبني.

يوم يقوم الروح : ملك عظيم يقوم وحده صفا والملائكة صفا وحدهم.

مآبا : أي مرجعا سليما وذلك بالإيمان والتقوى إذ بهما تكون النجاة.

ما قدمت يداه : أي ما أسلفه في الدنيا من خير وشر.

ياليتني كنت ترابا : أي حتى لا أعذب وذلك يوم يقول الله تعالى للبهائم كوني ترابا وذلك بعد الاقتصاص لها من بعضها بعضا.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء المستلزمة لعقيدة التوحيد والنبوة بعد أن

ذكر تعالى حال الطغاة الفجار وبين مصيرهم غاية البيان ثنّى بذكر المتقين الأبرار وبين مصيرهم وأنه جنات تجري من تحتها الأنهار فقال وقوله الحق وخبره الصدق ﴿إن للمتقين[1] مفازا﴾ أي مكـان فوز ونجـاح وبيّنه بقوله حدائق[2] أي بساتين وأعنابا وكواعب جمع كاعب الفتاة ينكعب ثديها أي يستدير ويرتفع كالكعب وذلك عند بلوغها وقوله في وصفهن ﴿أترابا﴾ جمع ترب أي في سن واحدة دون الثلاثين سنة ﴿وكأسا دهاقا[3]﴾ أي كأس خمر ملأى ﴿لا يسمعون﴾ أي في الجنة ﴿لغوا ولا كذابا﴾ لا قولا باطلا ولا كذبا. وقوله تعالى ﴿جزاء من ربك عطاء حسابا﴾ أي جزاهم ربهم بذلك فجعله عطاء كافيا[4] ووصف الجبار نفسه تعليما وتذكيرا فأبدل من قوله من ربك: قوله ﴿ربِّ السموات والأرض وما بينهما﴾ أي مالكهما والمتصرف فيهما ﴿الرحمن﴾ رحمان الدنيا والآخرة ورحيمها ﴿لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح﴾ ملك عظيم لا يقادر قدره وحده صفا ﴿والملائكة صفا﴾ هنا لا يملك أحد من الخلق ﴿من الرحمن خطابا﴾ وقوله ﴿لا يتكلمون﴾ بين يديه ﴿إلا من أذن له[5] الرحمن وقال﴾ قولا ﴿صوابا﴾ وفي الصحيح أن النبي محمداً ﷺ هو أول من يكلم الله عز وجل في الموقف حيث يأتي تحت العرش فيخر ساجدا فلا يزال ساجدا يحمد الله تعالى بمحامد يلهمها ساعتئذ فيقول له الرب تعالى ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع وقوله تعالى ﴿ذلك[6] اليوم الحق﴾ الذي لامرية فيه ولا شك وهو يوم الفصل وبناء عليه فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا أي مرجعا إليه بالإيمان والطاعة. وقوله تعالى ﴿إنا أنذرناكم عذابا قريبا﴾ أي خوفناكم عذابا قريبا جدا يبتدىء بالموت ولا ينتهي أبدا، وذلك ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ من خير أو شر أي يرى جزاء عمله عيانا إن كان عمله خيراً جزي بمثله وإن كان شرا جزي بمثله. ﴿ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا﴾ إنه لما يرى البهائم بعد القصاص لها صارت ترابا يتمنى الكافر وهو في عذابه أن لو كان ترابا مثل البهائم ولولا العذاب وشدته ودوامه لما تمنى أن يكون ترابا أبدا.

---

(١) المتقـون هم الـذين اتقـوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه فحافظوا بذلك على زكاة نفوسهم فاستوجبوا لذلك الجنات واستحقوها فاللام للمتقين هي لام الاستحقاق.

(٢) حدائق بدل بعـض من كل والحدائق جمع ,حديقة، البستان: المحاط بجدار.

(٣) دهاقا بمعنى ملأى وهذا من باب إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول فالدهاق كالدهق مصدر وأريد به المدهوق أي المملوء.

(٤) كافيا: تفسير كلمة حسابا إذ من أُعطِي ما يكفيه يقول حسبي.

(٥) الإذن اسم للكلام الذي يفيد إباحة فعل أو قول للمأذون، وهو مشتق من أذن له إذا استمع إليه. نحو: (وأذنت لربها وحقت).

(٦) هذه الجملة كالفذلكة لما تقدم من وعد ووعيد وإنذار وتبشير سيق مساق التنويه بيوم الفصل الذي هو اليوم الحق الثابت قطعا.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان كرامة المتقين وفضل التقوى.

٢ـ وصف جميل لنعيم الجنة.

٣ـ ذم الكذب واللغو وأهلهما.

٤ـ بيان شدة الموقف وصعوبة المقام فيه.

٥ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٦ـ الترغيب في العمل الصالح واجتناب العمل السيء الفاسد.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

مكية وآياتها ست وأربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا
﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ
﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا
خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا
عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ
وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات:

والنازعات غرقا : أي الملائكة تنزع أرواح الفجار والكفار عند الموت بشدة.

والناشطات نشطا : أي الملائكة تنشط أرواح المؤمنين الصالحين نشطا أي تسلها برفق.

والسابحات سبحا : أي الملائكة تسبح من السماء بأمر الله أي تنزل به إلى الأرض.

فالسابقات سبقا : أي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.

فالمدبرات أمرا : أي الملائكة تدبر أمر الدنيا أي تنزل بتدبيره من لدن الله المدبر الحكيم.

يوم ترجف الراجفة : أي النفخة الأولى نفخة الفناء التي يتزلزل كل شيء معها.

تتبعها الرادفة : أي النفخة الثانية.

واجفة : أي خائفة قلقة.

أئنا لمردودون في الحافرة: أي أنرد بعد الموت إلى الحياة إذ الحافرة[1] اسم لأول الأمر.

تلك إذا كرة خاسرة : أي رجعة إلى الحياة خاسرة.

فإنما هي زجرة واحدة : أي نفخة واحدة.

فإذا هم بالساهرة : أي بوجه الأرض أحياء سميت ساهرة لأن من عليها بها يسهر ولا ينام.

معنى الآيات:

قوله تعالى والنازعات غرقا[2] الآيات هذا قسم عظيم أقسم تعالى به على أنه لابد من البعث والجزاء حيث كان المشركون ينكرون ذلك حتى لايقفوا عند حد في سلوكهم فيواصلوا كفرهم وفسادهم جريا وراء شهواتهم كل أيامهم وطيلة حياتهم كما قال تعالى بل يريد الإنسان ليفجر أمامه فأقسم تعالى بخمسة أشياء وهي النازعات والناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات، ورجح أنهم أصناف من الملائكة وجائز أن يكون غير[3] ذلك ولا حرج إذ العبرة بكونه تعالى قد أقسم ببعض مخلوقاته على أن البعث حق ثابت وواقع لا محالة، وتقدير جواب القسم بلتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم إذ هو معهود في كثير من الإقسام في القرآن كقوله تعالى من سورة التغابن زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير وسيتم ذلك البعث والجزاء يوم ترجف الراجفة[4] التي هي النفخة الأولى التي ترجف فيها العوالم كلها ويفنى فيها كل شيء، ثم تتبعها الرادفة وهي النفخة الثانية وهي نفخة البعث من القبور أحياء وأن بين النفختين

---

(١) يقال: رجع فلان إلى حافرته أي في طريقه التي جاء فيها فحفرها برجليه وهو يمشي قال الشاعر:

أحافرة على صلع وشيب   معاذ الله من سفه وعار

أي أرجع إلى حالة الشباب بعد الصلع والشيب، والشاهد في إنكاره الرجوع إلى حياته الأولى.

(٢) النازعات جمع نازعة وهي الجماعة من الملائكة والنزع هو اخراج الروح من الجسد مشبه بنزع الدلو من البئر. ولذا يقول فلان في حالة النزع للمحتضر وغرقاً اسم مصدر عدل عن المصدر الذي هو إغراقاً لمناسبة سبحا ونشطا وسبقا في الآيات ومعناه الإغراق في نزع الروح من أقصى الجسد.

(٣) إذ يرى بعضهم أنها النجوم ويرى بعضهم أنها جماعات الخيل الغازية، والرماة أو الفرسان إلا أن الراجح أنها الملائكة، فالنازعات الملائكة تنزع أرواح الكافرين والنشاطات تنشط أرواح المؤمنين نشطاً تأخذها بسرعة كما ينشط العقال من يد البعير والسابحات تسبح بأرواح المؤمنين ترفعها إلى الملكوت الأعلى، فالسابقات الملائكة تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء، فالمدبرات، الملائكة تقوم بتدبير ما أسند الله إليها كقبض الأرواح، وإنزال الأمطار وإرسال الرياح، ونفخ الأرواح إلى غير ذلك.

(٤) إطلاق الراجفة والرادفة على الصيحة إطلاق سائغ وهو إطلاق على مسبّبة الراجفة وهي الصيحة والرادفة التي جاءت بعدها وهي الصيحة الثانية.

أربعين سنة كما ذكر ذلك رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح وقوله تعالى قلوب يومئذ واجفة أي خائفة قلقة أبصارها خاشعة أي أبصار أصحاب تلك القلوب خاشعة أي ذليلة خائفة . وقوله تعالى يقولون أي منكرو البعث أئنا لمردودون في الحافرة أي أنرد بعد الموت إلى الحياة من جديد كما كنا أول مرة، أئذا كنا عظاما نخرة أي بالية مفتتة وقولهم هذا استبعاد منهم للبعث وانكار له، وقالوا تلك إذاً كرة خاسرة يعنون أنهم إذا عادوا إلى الحياة مرة أخرى فإن هذه العودة تكون خاسرة وهي بالنسبة إليهم كذلك إذ سيخسرون فيها كل شيء حتى أنفسهم كما قال تعالى قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين . وقوله تعالى فإنما هي زجرة واحدة أي صيحة واحدة وهي نفخة اسرافيل الثانية نفخة البعث ﴿فإذا هم﴾ أولئك المكذبون وغيرهم من سائر الخلق بالساهرة أي وجه الأرض وقيل فيها الساهرة لأن من عليها يومئذ لا ينامون بل يسهرون أبدا. فرد تعالى بهذا على منكري البعث الآخر وقرره عز وجل بما لا مزيد عليه إعذارا وإنذارا ولا يهلك على الله إلا هالك .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ بيان أن الله تعالى يقسم بما يشاء من مخلوقاته بخلاف العبد لا يجوز له أن يقسم بغير ربه تعالى .

٢ـ بيان أن روح المؤمن تنزع عند الموت نزعاً سريعا لايجد من الألم ما يجده الكافر.

٣ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بالإقسام عليها وذكر كيفية وقوعها.

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾
إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾
فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ
ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ
فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ
﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات:

موسى : أي موسى بن عمران عليه السلام.

بالواد المقدس طوى : أي بالواد الطاهر المبارك المسمى بطوى.

اذهب إلى فرعون : أي بأن اذهب إلى فرعون.

إنه طغى : أي تجاوز حده كعبد إلى ادعاء الربوبية والألوهية.

إلى أن تزكى : أي تسلم فتطهر من رجس الشرك والكفر بالإسلام لله تعالى.

وأهديك إلى ربك : أي أرشدك إلى معرفة ربك الحق فتخشاه وتطيعه فتنجو من عذابه.

فأراه الآية الكبرى : أي العصا واليد إذ هي من أكبر الآيات الدالة على صدق موسى.

ثم أدبر يسعى : أي بعد ما كذب وعصى رجع يجمع جموعه ويحشر جنوده لحرب موسى وقال كلمة الكفر أنا ربكم الأعلى فلا طاعة إلاّ لي.

فأخذه الله نكال الآخرة والأولى: أي عذبه تعالى عذاب الآخرة وهو قوله أنا ربكم الأعلى وعذاب الأولى وهي قوله ما علمت لكم من إله غيري.

معنى الآيات:

قوله تعالى هل أتاك حديث موسى الآيات. . المقصود من هذه الآيات تسلية الرسول ﷺ وهو يعاني من تكذيب قومه له ولما جاء به من التوحيد والشرع فقص تعالى عليه طرفا من قصة موسى مع فرعون تخفيفا عليه، وتهديداً لقومه بعقوبة تنزل بهم كعقوبة فرعون الذي كان أشد منهم بطشا وقد أهلكه الله فأغرقه وجنده. . فقال تعالى هل أتاك[1] يارسولنا حديث موسى بن عمران، إذ[2] ناداه ربّه بالواد المقدس طوى أي بالواد المطهر المبارك المسمى طوى ناده فأعلمه أولا أنه لا إله إلا هو وأمره بعبادته، ثم أمره بأن يذهب إلى فرعون الوليد بن الريان ملك القبط بمصر فقال له اذهب إلى فرعون إنه طغى أي عتا وتكبر وظلم فأفحش في الظلم والفساد. وعلمه ما يقول له إذا انتهى إليه فقل هل لك إلى أن تزكى[3] أي إلى أن تسلم فتزكو روحك وتطهر بالإسلام وأهديك[4] إلى ربك فتخشى أي وأرشدك إلى ربك وأعرفك به فتخشى أي عقابه فتترك الظلم والطغيان قال تعالى فأراه الآية الكبرى والتي هي اليد والعصا، فكذب فرعون موسى في دعوته وعصى ربّه

---

(١) هل الاستفهام هنا صُوريٌ المراد به تشويق السامع إلى الخبر ولذا استعمل فيه هل التي هي بمعنى قد للتحقيق أي قد أتاك حديث موسى العجيب فاستمع.

(٢) إذ اسم زمان بدل اشتمال من حديث موسى.

(٣) قرأ نافع تزكى بتشديد الزاي وقرأ حفص بتخفيفها فمن شددها ادغم فيها إحدى تائي تتزكى ومن خفف حذف احدى التائين لأن أصل الفعل تتزكى بتائين.

(٤) الهداية: الدلالة على الطريق الموصل إلى المطلوب إذا سلكه المرء وصل إلى مرغوبه.

فلم يستجب له ولم يطعه فيما أمره به ودعاه إليه من الإيمان برسالة موسى وإرسال بني اسرائيل معه بعد الإسلام لله ظاهرا وباطنا. ثم أدبر فرعون أي عن دعوة الحق رافضا لها يسعى في الباطل والشر ﴿فحشر﴾ رجاله وجنده ﴿فنادىٰ﴾ أي ناداهم ليعدهم إلى حرب موسى ﴿فقال: أنا ربكم الأعلى﴾ يعني أنه لا ربّ فوقه، فأخذه الله أي عذبه نكال أي[1] عذاب الآخرة أي الكلمة وهي قوله أنا ربكم الأعلى ونكال الأولى وهي قوله ما علمت لكم من إله غيري وبين الكلمتين الخبيثتين أربعون سنة فالأولى قالها في بداية الدعوة حيث ادّعى انه بحث واستقصى في البحث واجتهد وانه بعد كل ذلك الاجتهاد لم يعلم أن للناس من قومه من إله سواه. وقوله تعالى إن في ذلك لعبرة لمن يخشى[2] أي فيما قص تعالى من خبر موسى وفرعون لعبرة أي عظة لمن يخشى الله وعذاب الدار الآخرة فيؤمن ويتقي أي فيزداد إيمانا وتقوى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تسلية الداعي إلى الله تعالى وحمله على الصبر في دعوته حتى ينتهي بها إلى غاياتها.

٢ـ اثبات مناجاة موسى لربّه تعالى وأنه كلمه ربّه كفاحاً بلا واسطة.

٣ـ تقرير أن لا تزكية للنفس البشرية إلا بالإسلام أي بالعمل بشرائعه.

٤ـ لا تحصل الخشية من الله للعبد إلا بعد معرفة الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء.

٥ـ وجود المعجزات لا يستلزم الإيمان فقد رأى فرعون أعظم الآيات كالعصا واليد وما آمن.

٦ـ التنديد والوعيد الشديد لمن يدعي الربوبية والألوهية فيأمر الناس بعبادته.

ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾

(١) النكل القيد قال تعالى (إن لدينا أنكالاً) جمع نكل ويطلق النكال على العذاب والهروب منه وأخذ منه فعل نكل تنكيلا أي عذبه تعذيباً فنكال الأولى أي عذاب الأولى ونكال الآخرة عذاب الآخرة كما هو مبين في التفسير.

(٢) لمن يخشى: أي يخشى الله تعالى وهو المؤمن التقي إذ مثله النفسي هو الذي يجد العظة والعبرة فيما يعرض عليه من أحداث فاصلة أما الكافر فأنى له أن يسمع حتى يبصر؟

شرح الكلمات :

أأنتم أشد خلقا أم السماء؟: أي أشد خلقا.

رفع سمكها : أي غلظها وارتفاعها.

فسواها : أي جعلها مستوية سطحا واحدا ما فيها نتوء ولا انخفاض.

وأغطش ليلها : أي أظلمه جعله مظلما.

وأخرج ضحاها : أي ضوءها ونهارها.

والأرض بعد ذلك دحاها : أي بعد أن خلق الأرض خلق السماء ثم دحا الأرض أي بسطها وأخرج منها ماءها ومرعاها.

والجبال أرساها : أي أثبتها على سطح الأرض لتثبت ولا تميد بأهلها.

متاعا لكم ولأنعامكم : أي اخرج من الأرض ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم وهي المواشي من الحيوان.

معنى الآيات :

قوله تعالى أأنتم أشد[1] خلقا الآيات. . سيقت هذه الآيات الكريمة لتقرير عقيدة البعث والجزاء بايراد أكبر دليل عقلي لا يرده العاقل ابدا وهو أن السماء في خلقها وما خلق الله فيها، وأن الأرض في خلقها وما خلق الله فيها أشد خلقا وأقوى وأعظم من خلق الإنسان بعد موته فالبشرية كلها لا يساوي حجمها حجم كوكب واحد من كواكب السماء ولا سلسلة واحدة من سلاسل الجبال في الأرض فضلا عن السماء والأرض. إذاً فالذي قدر على خلق السماء وما فيها والأرض وما فيها قادر قطعا ومن باب أولى على خلق الإنسان مرة أخرى وقد خلقه أولاً فإعادة خلقه بإحيائه بعد موته أيسر وأسهل وأمكن من خلقه أولاً على غير مثال سبق، ولا صورة تقدمت، ولكن أكثر الناس لا يعلمون لأنهم لا يفكرون وهذا عرض الآيات قوله تعالى أأنتم أشد خلقا أيها المنكرون للبعث المكذبون به أم السماء[2] والجواب الذي لا شك فيه هو أن السماء أشد خلقا منهم وبيان ذلك فيما يلي :

١) بناها فهي سقف للأرض مرفوعة فوقها مسوّاة فلا انفطار فيها ولا ارتفاع لبعض وانخفاضاً لبعض آخر بل هي كالزجاجة في سمتها واعتدالها في خلقها.

---

(١) الاستفهام تقريري أي الجاؤهم إلى الإقرار والاعتراف بأن خلق السماء أعظم من خلقهم إذاً كيف ينكرون البعث والحياة الثانية.

(٢) المراد بالسماء السماء الدنيا المشاهدة للناس، وإن كان لفظ السماء يطلق إطلاق أسماء الأجناس الدالة على أكثر من واحد والبناء للسماء وهو خلقها في صورة بناء رفيع.

٢) رفع سمكها[1] فإن غلظها مقدر بمسيرة خمسمائة عام.

٣) أغطش ليلها فجعله مظلما.

٤) وأخرج ضحاها فجعل نهارها مضيئا. هذه هي السماء. والأرض بعد ذلك أي بعد[2] أن خلقها أولا وقبل السماء عاد إليها فدحاها بأن بسطها للأنام وأخرج منها ماءها ففجر فيها عيونها وأخرج منهـا مرعى وهو ما يرعى من سائر الحبوب والثمار والنبات والأشجار منفعة للإنسان ولحيوانه المفتقر إليه في ركوبه[3] وطعامه وشرابه وما ذكر تعالى من مظاهر القدرة والعلم والحكمة والرحمة في الأرض لا يقل عما ذكر في السماء إن لم يكن أعظم فكيف إذاً ينكر الإنسان على ربّه أن يعيده حيًا بعد إماتته له ليحاسبه وليجزيه إنه بدل أن ينكر يجب عليه أن يشكر، ولكن الإنسان ظلوم كفار.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ـ بيان إفضال الله تعالى على الإنسان وإنعامه عليه.

٣ـ مشروعية الاستدلال بالكبير على الصغير وبالكثير على القليل وهو مما يعلم بداهة وبالضرورة إلا أن الغفلة أكبر صارف وأقوى حايل فلابد من إزالتها أولا.

فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ
ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ
لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ
هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ

---

(١) السمك بفتح السين وتسكين الميم الرفع في الفضاء، وهو مصدر سمك إذا رفع والسمك محرك السين والميم الحوت المعروف واحده سمكة كبقرة.

(٢) اختلف في أيها خلق الله تعالى أولاً الأرض أم السماء والراجح أنها الأرض أولا لقوله (قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض... إلى قوله ثم استوى إلى السماء) الآية من سورة فصلت. وطريق الجمع كما في التفسير خلق الأرض أولاً ثم السموات ثم عاد إلى الأرض فدحاها بمعنى أخرج منها ماءها ومرعاها أي أعدها إعداداً خاصاً لحياة الإنسان والحيوان وهو المراد من قوله دحاها إذ الدحو البسط والتسوية والترتيب.

(٣) إذ هو المراد من قوله تعالى في الآية (ولأنعامكم) التي هي الإبل والبقر والغنم فالإبل يُركب ظهرها، ويشرب لبنها ويؤكل لحمها.

﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا
﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ
مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

الطامة الكبرى : أي النفخة الثانية وأصل الطامة الداهية التي تعلو على كل داهية.

ما سعى : أي ما عمل في الدنيا من خير وشر.

فأما من طغى : أي كفر وظلم.

وآثر الحياة الدنيا : أي باتباع الشهوات.

فإن الجحيم هي المأوى : أي النار مأواه.

مقام ربه : أي قيامه بين يديه ليسأله عما قدم وأخر.

ونهى النفس عن الهوى : أي المردى المهلك باتباع الشهوات.

فإن الجنة هي المأوى : أي مأواه الذي يأوي إليه بعد الحساب.

عن الساعة : أي القيامة للحساب والجزاء.

أيان مرساها : أي متى وقوعها وقيامها.

فيم أنت من ذكراها : أي في أي شيء من ذكراها أي ليس عندك علمها حتى تذكرها.

إلى ربك منتهاها : أي منتهى علمها إلى الله وحده فلا يعلمها سواه.

لم يلبثوا : أي في قبورهم.

إلا عشية أو ضحاها : أي عشية يوم أو ضحى تلك العشية.

معنى الآيات :

بعد أن بين تعالى مظاهر قدرته في حياة الناس وما خلق لهم فيها تدليلا على البعث والجزاء وذكر في هذه الآيات مظاهر قدرته في معادهم تدليلا على قدرته على بعثهم بعد موتهم ومحاسبتهم ومجازاتهم فقال عز من قائل[1] ﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى﴾ أي القيامة وسميت بالطامة الكبرى لأنها تطم على[2] كل شيء ولا يعظمها شيء لا ريح عاد ولا صيحة ثمود ولا رجفة يوم الظلة. ﴿يوم

---

(١) فالفاء للتفريع عما تقدم إن تقدم مظاهر قدرته في الكون والحياة تدليلاً على قدرته على البعث والجزاء ففرع عنه بيان أحوال البعث وما يجري فيه تقريراً له ووقوفاً بالمنكرين له على مصيرهم فيه مبالغة في طلب هدايتهم وإقامة الحجة عليهم.

(٢) أصل الطامة الحادثة التي تطم أي تلو وتغلب أمثالها من الأحداث الجسام والمراد بها هنا القيامة، قال سفيان الطامة هي الساعة التي يسلم فيها أهل النار للزبانية قال الشاعر:

إن بعض الحب يعمي ويصم ـ وكذاك البغض أدهى وأطم

يتذكر الإنسان ما سعى﴾ من خير أو شر لأنه أيقن انه محاسب ومجزيّ بعمله. ﴿وبرّزت الجحيم﴾ أي أبرزها فظهرت لمن يراها لا يخفيها شيء. والناس بعد ذلك مؤمن وكافر والطريق طريقان طريق جنة وطريق نار. ﴿فأما من طغى﴾ أي عتا عن أمر ربّه فعصاه ولم يطعه بأداء فرائضه واجتناب نواهيه. ﴿وآثر الحياة الدنيا﴾ على الآخرة فعمل للدنيا وصرف كل جهده وطاقته لها، ولم يعمل للآخرة فما صام ولا صلى ولا تصدق ولا زكى ﴿فإن الجحيم هي المأوى﴾ أي مأواه ومستقره ومثواه شرابه الحميم وطعامه الزقوم﴿ وأما من خاف مقام ربّه﴾ وهو الوقوف بين يديه لمساءلته ومجازاته فأدى الفرائض واجتنب النواهي، ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ أي نفسه عن هواها فلم يجبها في هوى يبغضه الله ولم يطعها في شيء حرمه الله فإن الجنة دار السلام والأبرار والمتقين الأخيار هي مأواه ولنعم المأوى هي حيث العيون الجارية والسرر المرفوعة والأكواب الموضوعة والنمارق المصفوفة والزرابي المبثوثة والكواعب العرب الأتراب ولقاء الأحباب.[1] وقوله تعالى يسألونك عن الساعة أيان مرساها أي يسألك يارسولنا المنكرون للبعث عن الساعة أي قيامها ومتى رسوها وثبوتها وهي كالسفينة سائرة ليل نهار متى ترسو؟ فيم[2] أي في أي شيء أنت من ذكراها أي ليس عندك علمها فتذكرها لهم إلى ربك وحده علم وقت مجيئها وساعة رسوها لتنقل الناس من دنياهم إلى آخرتهم، وبذلك تنتهي رحلتهم ويستقر قرارهم. وينتهي ليلهم ونهارهم. وقوله تعالى إنما أنت منذر من يخشاها أي ليس إليك يارسولنا علمها ولا منتهى أمرها إنما أنت مهمتك غير ما يطلب منك إنها انذار من يخشى الساعة ويخاف حلولها لإيمانه بها وبما يكون فيها من نعيم وجحيم أما من لا يؤمن بها فهو لايخافها وسؤاله عنها سؤال استهزاء، فلا تحفل بهم ولا تهتم لهم فإنهم يوم يرونها كأن لم يلبثوا في دنياهم هذه وقبورهم إلا عشية أو ضحاها أي عشية يوم أو ضحى تلك العشية لما يستقبلون من أهوال الموقف وفظائع العذاب.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحوالها وصفاتها.

٢ـ الناس يوم القيامة مؤمن تقيّ في الجنة، وكافر وفاجر في النار.

٣ـ بيان استئثار الله تعالى بعلم الغيب والساعة.

٤ـ بيان أي الشدائد ينسى بعضها بعضا فإن عذاب القبر يهون أمام عذاب النار.

---

(١) كل ما ذكر من قولنا العيون إلى لقاء الأحباب هو من القرآن. يروى أن بلالاً وهو في سياقة الموت يغمى عليه فإذا أفاق ووجد امرأته تبكي: يقول لها لا تبكي: غدا ألقى الأحبه محمداً وصحبه

(٢) اسم استفهام أريد به الإنكار مشوباً بالتعجب من إلحاح المشركين على الرسول ﷺ أن يعين لهم وقتها.

سورة عبس
مكية وآياتها ثنتان وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ
يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾
وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ
عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ
﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

عبس : أي النبي ﷺ بمعنى كلح وجهه وتغيّر.

وتولى : أي أعرض.

أن جاءه الأعمى : أي لأجل أن جاء عبدالله بن أم مكتوم فقطعه عما هو مشغول به من دعوة بعض أشراف قريش للإسلام.

لعله يزكى : أم يتطهر من الذنوب.

أو يذكر : أي يتعظ.

فتنفعه الذكرى : أي الموعظة.

وأما من استغنى : عن الإيمان والعلم والدين بالمال والجاه.

فأنت له تصدى : أي تقبل عليه وتتصدى له.

وما عليك ألا يزكى : أي ليس عليك بأس في عدم تزكيته نفسه بالإسلام.

يسعى : أي في طلب الخير من العلم والهدى.

فأنت عنه تلهى : أي تشاغل.

كلا : أي لا تعد لمثل ذلك.

إنها تذكرة : أي الآيات عظة للخلق.

مكرمة : أي عند الله.

مرفوعة : أي في السماء.

مطهرة : أي منزهة عن مس الشياطين.

بأيد سفرة : كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ.

كرام بررة : مطيعين لله وهم الملائكة.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿عبس وتولى[1] أن جاءه الأعمى﴾ هذا عتاب لطيف يعاتب به الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا ﷺ فالذي عبس بمعنى قطب وجهه وأعرض هو رسول الله ﷺ والأعمى الذي لأجله عبس رسول الله وأعرض عنه هو عبدالله بن أم مكتوم الأعمى أحد المهاجرين ابن خال خديجة بنت خويلد أم المؤمنين. وسبب هذا العتاب الكريم أن رسول ﷺ كان في مكة يوما ومعه صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل والعباس بن عبدالمطلب، وأمية بن خلف يدعوهم إلى الإسلام مجتهدا معهم يرغبهم ويرهبهم طمعا في إسلامهم فجاء عبد الله بن أم مكتوم ينادي يارسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك مرارا فانزعج لذلك رسول الله ﷺ فكره رسول الله ﷺ قطعه لحديثه مع القوم فعبس وتولى عنه لايجيبه، وما إن عاد النبي ﷺ إلى منزله حتى نزلت هذه الآيات ﴿عبس وتولى﴾ أي قطب وأعرض ﴿أن[3] جاءه الأعمى وما يدريك﴾ أي وما يعلمك أنه ﴿يزكى[4]﴾ بما يطلب من القرآن والسنة أي يريد زكاة نفسه وتطهير روحه بما يتعلمه منك، أو يذكر فتنفعه الذكرى. أي وما يعلمك لعله بندائه لك وطلبه منك أن يتذكر بما يسمع منك فيتعظ به وتنفعه الذكرى منك. وقوله تعالى ﴿أما من استغنى﴾ أي عن الإيمان والإسلام وما عندك من العلم بالله والمعرفة استغنى بماله وشرفه في قومه ﴿فأنت له تصدى[5]﴾ أي تتعرض له مقبلا عليه ﴿وما عليك ألا يزكى﴾ أي وأي شيء يلحقك من الأذى إن لم يتزكّ ذاك المستغنى عنك بشرفه وماله. وكرر تعالى العتاب بالكلمات العذاب[6] فقال ﴿وأما من جاءك يسعى وهو

---

(١) عبس: أي النبي ﷺ ومعنى عبس قطب ما بين عينيه كراهية لما نابه وحصل له مما أزعجه.

(٢) انظر مضمون هذه الآية في قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي.. الآية وأخرى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) الآية. الأولى من سورة الأنعام والثانية من الكهف.

(٣) أن جاءه الأعمى: مجرور بحرف جر محذوف وهو اللام أي لأن جاءه وهذا الحذف مطرد وأصل التركيب لأجل مجيء الأعمى له.

(٤) يزكى أصلها يتزكى أي يطلب التزكية لنفسه فأدغمت التاء في الزاي فصارت يزكى.

(٥) قرأ نافع تصدى بتشديد الصاد والدال معاً، وقرأ حفص بتخفيف الصاد، فمن شدد أدغم إحدى التائين في الصاد ومن خفف حذفها.

(٦) العذاب: جمع عذبه بمعنى الحلوة الطيبة إذ كل حلو طيب هو عذب.

يخشى﴾ جاءك مسرعا يجري وراءك يناديك بأحبّ الأسماء إليك يارسول الله والحال انه يخشى الله تعالى ويخاف عقابه فلذا هو يطلب ما يزكي به نفسه ليقيها العقاب والعذاب ﴿فأنت عنه تلهى﴾[1] أي تتشاغل بغيره ﴿كلا﴾ أي لا تفعل مثل هذا مرة أخرى. وقوله تعالى ﴿إنها تذكرة﴾ أي هذه الآيات وما تحمل من عتاب حبيب إلى حبيب موعظة ﴿فمن شاء﴾ من عباد الله ﴿ذكره﴾ أي ذكر هذا الوحي والتنزيل ﴿في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة﴾ مكرمة عند الله تعالى مرفوعة في السماء مطهرة منزهة عن مس الشياطين لها ﴿بأيدي سفرة كرام بررة﴾ أي مطيعين لله صادقين هم الملائكة كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ وما أقرب هذا الوصف من مؤمن كريم النفس طاهر الروح يحفظ كتاب الله ويعمل به بيده مصحف يقرأه ويرتّـل كلام الله فيه وقد جاء في الصحيح[2] أن هذا العبد الذي وصفت مع السفرة الكرام البررة. اللهم اجعلني منهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان مقام النبي ﷺ وأنه أشرف مقام وأسماه دل على ذلك أسلوب عتاب الله تعالى له حيث خاطبه في أسلوب شخص غائب حتى لا يواجهه بالخطاب فيؤلمه فتلطف معه، ثم أقبل عليه بعد أن أزال الوحشة يخاطبه وما يدريك.

٢- إثبات ما جاء في الخبر أدبني ربي فأحسن تأديبي فقد دلت الآيات عليه.

٣- بلغ رسول الله ﷺ بتأديب ربّه له مستوى لم يبلغه سواه، فقد كان إذا جاءه ابن أم مكتوم يوسع له في المجلس ويجلسه إلى جنبه ويقول له مرحبا بالذي عاتبني ربي[3] من اجله وولاه على المدنية مرات، وكان مؤذناً له في رمضان.

٤- استحالة كتمان الرسول ﷺ لشيء من الوحي فقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لو كان للرسول أن يكتم شيئا من وحي الله لكتم عتاب الله تعالى له في عبس وتولى.

---

(١) تلهى: أصلها تتلهى حذفت إحدى التائين تخفيفاً، وتلهى تطلب التلهي أو حصل له وهو الانشغال بشيء وترك الآخر.

(٢) في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال: مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأه وهو يتعاهده وهو عليه شاق شديد فله أجران.

(٣) قال الثوري فكان النبي ﷺ بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم يبسط له رداءه ويقول مرحباً بمن عاتبني فيه ربي ويقول: هل من حاجة؟ واستخلفه بالمدينة مرتين في غزوتين غزاهما قال أنس فرأيته يوم القادسية راكباً وعليه درع وراية سوداء.

قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ
مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ
ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا
يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا
﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾
وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ
وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

قتل الإنسان : لعن الإنسان الكافر.

ما أكفره[1] : أي ما حمله على الكفر؟ .

من أي شيء خلقه : من نطفة خلقه .

فقدّره : أي من نطفة إلى علقة إلى مضغة فبشر سويّ .

ثم السبيل يسره : أي سبيل الخروج من بطن امه .

إذا شاء أنشره : أي إذا شاء إحياءه أحياه .

كلا : حقا أو ليس الأمر كما يدعي الإنسان أنه أدى ما عليه من الحقوق .

لما يقض ما أمره : أي ما كلفه به من الطاعات والواجبات في نفسه وماله .

إلى طعامه : أي كيف قدر ودبر له .

حبا وعنبا : أي الحب الحنطة والشعير والعنب هو المعروف .

وقضبا : أي القت الرطب وسمي قضبا لأنه يقضب أي يقطع مرة بعد مرة .

وحدائق غلبا : أي كثيرة الأشجار والواحدة غلباء كحمراء كثيفة الشجر.

وفاكهة وأبا : أي ما يتفكه به من سائر الفواكه والأب التبن وما ترعاه البهائم .

متاعا لكم ولأنعامكم : أي ما تقدم ذكره منفعة لكم ولأنعامكم التي هي الإبل والبقر والغنم .

---

(١) جائز أن تكون ما تعجبية إذ من عادة العرب إذا تعجبوا من شيء قالوا فيه قاتله الله ما أحسنه أو ما أقبحه أو ما أجراه مثلا. أي أعجبوا لخلقه من نطفة مع كفره بربه .

معنى الآيات :

بعدما عاتب الربّ تبارك وتعالى رسوله على انشغاله بأولئك الكفرة المشركين وإعراضه عن ابن أم مكتوم الأعمى فكان أولئك المشركون هم السبب في إعراض الرسول ﷺ عن ابن أم مكتوم وفي عتاب الله تعالى لرسوله ﷺ فاستوجبوا لذلك لعنة الله تعالى عليهم لكفرهم وكبريائهم جَرَّدَ الله تعالى شخصا منهم غير معلوم والمراد كل كافر متكبر مثلهم فقال ﴿قتل الإنسان﴾ أي الكافر ﴿ما اكفره﴾ أي ما حمله على الكفر والكبر. فلينظر ﴿من أي شيء خلقه﴾ ربّه الذي يكفر به؟ إنه خلقه من نطفة قذرة ﴿خلقه فقدره﴾ أي أطوارا نطفة فعلقة فمضغة. أمن كان هذا حاله يليق به أن يكفر ويتكبر ويستغني عن الله؟ فلينظر إلى مبدئه ومنتهاه وما بينهما مبدأه نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة. وهو بينهما حامل عذرة. كيف يكفر وكيف يتكبر؟ وقوله تعالى ﴿ثم السبيل يسره﴾ فلولا أن الله تعالى يسر له طريق الخروج من بطن أمه والله ما خرج. ﴿ثم أماته﴾ بدون استشارته ولا أخذ رأيه ﴿فأقبره﴾[1] هيأ له من يقبره وإلا لأنتن وتعفن وأكلته الكلاب، ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾[2] ﴿كلا﴾[3]. أما يصحو هذا المغرور أما يفيق هذا المخدوع. ﴿لما يقض ما أمره﴾ فما له لا يقضي ما أمره ربّه من الإيمان به وطاعته ﴿فلينظر هذا الإنسان إلى طعامه﴾[4] الذي حياته متوقفة عليه كيف يتم له بتقدير الله تعالى وتدبيره لعله يذكر فيشكر ﴿إنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا﴾ كالبر والشعير والذرة وسائر الحبوب المقتاتة وعنبا يأكله رطبا ويابسا ﴿وقضبا﴾ وهو القت الرطب يقضب أي يقطع مرة بعد مرة وهو علف البهائم، ﴿وزيتونا﴾ يأكله حبا ويدهن به زيتا ﴿ونخلا﴾ يأكله ثمرة بسرا ورطبا وتمرا ﴿وحدائق غلبا﴾ أي بساتين ملتفة الأشجار كثيرتها الواحدة غلباء[5] ﴿وفاكهة وأبا﴾ الفاكهة لكم والأب علف لدوابكم ﴿متاعا لكم ولأنعامكم﴾ أي هذه المذكورات بعضها متاعا لكم أي منافع تتمتعون بها وبعضها لأنعامكم وهو القضب والأب منفعة لها تعيش عليها فبأي وجه تكفر ربك يا أيها الإنسان الكافر؟.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته وهي مقتضية للإيمان به وبآياته ورسوله ولقائه.

---

(١) يقال قبره إذا دفنه وأقبره إذا هيأ له من يقبره.

(٢) أنشره ونشره بمعنى واحد أي أحياه بعد موته وسيشاء ذلك فينشره يوم القيامة للحساب والجزاء.

(٣) لأهل العلم في حقيقة (كلا) هذه كلام طويل واختلاف كبير والراجح أنها كما هي الغالب فيها أنها للردع أي ردع له على كفره واستمرار غفلته وإعراضه وجهله وعدم علمه، وجملة لما يقض بيانية أي بيان علة كفره وعناده وهي انه لم يقض ما أمر به من النظر والتأمل ولو فعل ذلك لعرف واهتدى، ومن هنا أمره أن ينظر إلى طعامه.

(٤) هناك لطيفة تستشف من هذه الآية وهي أن طعام الإنسان كالمثل للدنيا في مبدئها ومنتهاها فإن طعامه وإن ملحه وفلفله فإنه يصير إلى عذرة منتنة.

(٥) يقال للأسد الأغلب لأنه مصمت العنق لا يلتفت إلا جمعاً.

٢ـ الاستدلال بالصنعة على الصانع. وأن أثر الشيء يدل عليه، ولذا يتعجب من كفر الكافر بربه وهو خلقه ورزقه وكلأ حياته وحفظ وجوده إلى أجله.
٣ـ بيان أن الإنسان لا يزال مقصراً في شكر ربّه ولو صام الدهر كله وصلى في كل لحظة من لحظاته.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

شرح الكلمات:

فإذا جاءت الصاخة : أي النفخة الثانية.

وصاحبته : أي زوجته.

شأن يغنيه : أي حال تشغله عن شأن غيره.

مسفرة : أي مضيئة.

عليها غبرة : أي غبار.

ترهقها قترة : أي ظلمة من سواد ومعنى ترهقها تغشاها.

الكفرة الفجرة : أي الجامعون بين الكفر والفجور.

معنى الآيات:

بعدما بين تعالى بداية أمر الإنسان في حياته ومعاشه فيها ذكر تعالى معاده ومآله فيها فقال عز من قائل ﴿فإذا جاءت[1] الصاخة﴾ وهي القيامة ولعل تسميتها بهذا الاسم الصاخة نظرا إلى نفخة الصور التي تصخ الآذان أي تصمها بمعنى تصيبها بالصمم لشدتها. وهي النفخة الثانية وقوله تعالى ﴿يوم يفر المرء من أخيه[2] وأمه وأبيه وصاحبته﴾ أي زوجته ﴿وبنيه﴾ وهؤلاء أقرب الناس إليه

---

(١) الفاء للتفريع هذا الكلام متفرع على ما قبله كما في التفسير انه بعد أن ذكر الإنسان بمبدأ خلقه ومنتهى حياته في الدنيا فرع على ذلك بيان حياته الآخرة ومصيره فيها.

(٢) قال بعضهم أول من يفر يفر قابيل من أخيه هابيل، وقال الحسن أول من يفر يوم القيامة ابراهيم يفر من أبيه ونوح من ابنه ولوط من امرأته.

ومع هذا يفر عنهم أي يهرب خشية أن يطالبوه بحق لهم عليه فيؤخذ به. وقوله تعالى ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن﴾[1] أي حال وأمر ﴿يغنيه﴾ عن السؤال عن غيره ولو كان أقرب قريب إليه.
هنا ورد أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله ﷺ قائلة يا نبيّ الله كيف يحشر الرجال؟ قال حفاة عراة، ثم انتظرت ساعة فقالت يا نبيّ الله كيف يحشر النساء؟ قال كذلك حفاة عراة قالت واسوأتاه من يوم القيامة: قال وعن ذلك تسألين إنه قد نزلت عليّ آية لا يضرك كان عليك ثياب أم لا قالت أي آية هي يا نبيّ الله قال ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾. وقوله تعالى ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾[2] أي مضيئة مشرقة ﴿ضاحكة مستبشرة﴾ وهي وجوه المؤمنين والمؤمنات أهل التقوى وجوههم حسنة مشرقة بالأنوار مستبشرون بالقدوم على ربهم والنزول بجواره الكريم. ﴿ووجوه يومئذ﴾ أي تقوم القيامة ويحشر الناس لفصل القضاء ﴿عليها غبرة﴾ أي غبار ﴿ترهقها﴾ أي تغشاها ﴿قترة﴾. أي ظلمة وسواد أولئك أي الذين عليهم الغبرة وتغشاهم القترة هم ﴿الكفرة﴾ في الدنيا ﴿الفجرة﴾ فيها الذين عاشوا على الكفر والفجور وماتوا على ذلك والفجور هو الخروج عن طاعة الله تعالى بترك الواجبات وغشيان المحرمات كالربا والزنا وسفك الدماء.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان شدة الهول يوم القيامة يدل عليه فرار المرء من أقربائه.
٢ـ خطر التبعات على العبد يوم القيامة وهي الحقوق التي يطالب بها العبد يوم القيامة.
٣ـ شدة الهول والفزع تنسي المرء يوم القيامة أن ينظر إلى عورة أحد من أهل الموقف.
٤ـ ثمرة الإيمان والتقوى تظهر في الموقف نورا على الوجه وإشراقا له وإضاءة وثمرة الكفر والفجور تظهر ظلمة وسوادا على الوجه وغبارا.
٥ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرض صورة من صورها.

---

(١) روى الترمذي وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال يحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امرأة أينظر بعضنا بعضا؟ قال يا فلانة لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه. غرلاً: جمع أغرل وهو من لم تؤخذ غلفة ذكره بالختان.
(٢) مسفرة من طول قيام الليل والضرب في سبيل الله يقال أسفر الصبح إذا أضاء وأسفرت المرأة إذا كشفت عن وجهها.

سُورَةُ التَّكوِير

مكية وآياتها تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ
سُيِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ
﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ﴿٧﴾ وَإِذَا
ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ
﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ
أُزۡلِفَتۡ ﴿١٣﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

إذا	: أي ظرف لما ذكر بعد من المواضع الأثنى عشر، وجوابها علمت نفس ما أحضرت .
كورت	: أي لفت وذهب بنورها.
انكدرت	: أي انقضت وتساقطت على الأرض.
سيرت	: ذهب بها عن وجه الأرض فصارت هباء منبثا.
وإذا العشار	: أي النوق الحوامل.
عطلت	: أي تركت بلا راع أو بلا حلب لما دهاهم من الأمر.
الوحوش حشرت	: أي جمعت وماتت .
وإذا البحار سجرت	: أي أوقدت فصارت نارا.
وإذا النفوس زوجت	: أي قرنت بأجسادها ثم بقرنائها وأمثالها في الخير والشر.
وإذاالموءودة	: أي البنت تدفن حية خوف العار أو الحاجة.
سئلت	: أي تبكيتا لقاتلها.
بأي ذنب قتلت	: أي بلا ذنب.
وإذا الصحف نشرت	: أي صحف الأعمال فتحت وبسطت.

وإذا السماء كشطت : أي نزعت من أماكنها كما ينزع الجلد عن الشاة.

وإذا الجحيم سعرت : أي النار أججت.

وإذا الجنة أزلفت : أي قربّت لأهلها ليدخلوها.

علمت نفس ما أحضرت : أي كل نفس وقت هذه المذكورات ما أحضرت من خير وشر.

معنى الآيات:

قوله تعالى إذا الشمس كورت إلى قوله علمت نفس ما أحضرت اشتمل على اثنى عشر حدثا جللا، ستة أحداث منها في الدنيا وستة في الآخرة وكلها معتبرة شرطا لجواب واحد وهو قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت أي من خير وشر لتجزي به والسياق كله في تقرير عقيدة البعث والجزاء التي انكرها العرب المشركون وبالغوا في إنكارها مبالغة شديدة وكونها عليهامدار إصلاح الفرد والجماعة وأنه بدونها لا يتم إصلاح ولا تهذيب ولا تطهير عُنِيَ القرآن بها عناية فائقة ويدل لذلك أن فواتح سور والصافات والذاريات والطور والمرسلات والنازعات والتكوير والانفطار والانشقاق والبروج والفجر كل هذه بما فيها من إقسامات عظيمة هي لتقرير عقيدة البعث والجزاء.

وهذه الأحداث الستة التي تقع في الدنيا وهي مبادىء الآخرة:

١) تكوير[1] الشمس بلفها وذهاب ضوئها.

٢) انكدار[2] النجوم بانقضائها وسقوطها على الأرض.

٣) تسيير الجبال بذهابها عن وجه الأرض واستحالتها إلى هباء يتطاير.

٤) تعطيل العشار[3] وهي النوق الحوامل فلا تحلب ولا تركب ولا ترعى لما أصاب أهلها من الهول والفزع وكانت أفضل أموالهم وأحبها إلى نفوسهم.

٥) حشر الوحوش وموتها وهي دواب البر قاطبة.

٦) تسجير[4] البحار باشتعالها نارا.

وهذه الأحداث الستة التي تقع في الآخرة:

---

(١) قال أبو عبيدة: كورت مثل تكوير العمامة فتلف وقال الربيع كورت ورمي بها.

(٢) انكدرت تهافتت وتناثرت، وقال أبو عبيدة انصبت كما ينصب العقاب إذا انكسر قال العجاج يصف صقراً:

أبصر خربان فضاء فانكدر   تقضّي الباز إذا البازي كَسَر

(٣) العشار واحدها عشراء وهي التي مضى على حملها عشرة أشهر ثم لا يزال اسمها كذلك حتى تضع.

(٤) أو جائز أن يكون تسجير البحار فيضانها بتجاوز مياهها معدل سطوحها، وجائز أن تشتعل فيها النار فتحترق، وظاهرة وجود البترول تحت سطحها تدل على أنها تحترق وتُسَجَّرُ كما يُسَجَّرُ التنور.

١) تزويج النفوس وهو قرنها بأجسادها بعد خلق الأجساد لها، وبعد ذلك بأمثالها في الخير والشر.

٢) سؤال الموءودة[1] عن ذنبها الذي قتلت به؟

٣) نَشْرُ صحف الأعمال وفتحها وبسطها.

٤) كشط السماء[2] أي نزعها من أماكنها نزع الجلد عن الشاة عند سلخها.

٥) تسعير النار أي تأجيجها وتقويتها.

٦) إزلاف الجنة وتقريبها لأهلها أهل الإيمان والتقوى.

وجواب هذه الأحداث التي وقعت شرطا لحرف «إذا» هو قوله تعالى علمت نفس[3] ما أحضرت من حسنات فتصير بها إلى الجنة ، أو سيئات فتصير بها إلى النار. اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول و عمل ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول و عمل.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ـ بيان مفصل عن مبادىء القيامة، وخواتيمها وفي حديث الترمذي الحسن الذي قال فيه رسول الله ﷺ من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت.

٣ـ الترغيب في الإيمان والعمل الصالح إذ بهما المصير إلى الجنة.

٤ـ الترهيب من الشرك والمعاصي إذ بهما المصير إلى النار.

فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾
ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾
إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ
ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ

(١) الوأد: دفن الطفلة وهي حية، وكان العرب في الجاهلية يئدون البنات خشية العار، ويقتلون أولادهم خشية الفقر أو لنذرهم إياهم للآلهة.

(٢) الكشط إزالة الإهاب «الجلد» عن الحيوان الميت.

(٣) روي أن عمر رضي الله عنه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله تعالى (علمت نفس ما أحضرت) قال لهذا أجريت القصة.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن
يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات :

الخنس : أي التي تخنس بالنهار أي تختفي وتظهر بالليل.

الجواري الكنس : أي التي تجري أحيانا وتكنس في مكانسها أحيانا أخرى والمكانس محل إيوائها كمكانس بقر الوحش وهي الدراري الخمسة عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل.

إذا عسعس : أي أقبل أو أدبر لأن عسعس من أسماء الأضداد.

تنفس : أي امتد حتى يصير نهاراً بيّناً.

إنه : أي القرآن .

لقول رسول كريم : أي جبريل كريم على الله تعالى وأضيف إليه القرآن لنزوله به.

ذو قوة : أي شديد القوى.

عند ذي العرش مكين : أي عند الله تعالى ذي مكانة.

مطاع ثم أمين : أي مطاع في السماء تطيعه الملائكة أمين على الوحي.

وما صاحبكم بمجنون : أي محمد ﷺ أي ليس به جنون.

ولقد رآه بالأفق المبين : أي ولقد رأى النبي ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها بالأفق الأعلى البيّن من ناحية المشرق.

وما هو على الغيب : أي وما محمد ﷺ على الغيب وهو ما غاب من الوحي وخبر السماء.

بضنين : أي بمتهم وفي قراءة بالضاد أي ببخيل فينقص منه ولا يعطيه كله.

وما هو بقول شيطان رجيم : أي وليس القرآن بقول شيطان مسترق للسمع مرجوم.

فأين تذهبون : أي فأيّ طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه.

ما هو إلا ذكر للعالمين : أي ما القرآن إلا موعظة للإنس والجن.

أن يستقيم : أي يتحرى الحق ويعتقده ويعمل بمقتضاه.

وما تشاءون إلا أن يشاء الله : أي ومن شاء الاستقامة منكم فإنه لم يشأها إلا بعد أن شاءها الله قبله إذ لو لم يشأها الله ما أشاءها عبده.

معنى الآيات:

لما قرر تعالى عقيدة البعث والجزاء بوصف كامل لأحداثها وكان الوصف من طريق الوحي فافتقر الموضوع إلى صحة الوحي والإيمان به فإذا صح الوحي وآمن به العبد آمن بصحة البعث والجزاء. ومن هنا أقسم تعالى بأعظم قسم على أن القرآن نزل به جبريل على محمد ﷺ وما يقوله محمد ﷺ هو كلام الله ووحيه وليس هو بمجنون يقول مالا يدري ويهذر بما لايعني ولا هو بقول شيطان رجيم ممن يسترقون السمع ويلقونه إلى إخوانهم من الكهان بل هو كلام الله صدقا وحقا وما يخبر به هو كما يخبر صدق وحق فقال تعالى فلا أي ليس[1] الأمر كما تدعون بأن ما يقوله رسولنا هو من جنس ما تقوله الكهنة. ولا مما يقوله الشعراء، ولا هو بكلام مجانين. ولا هو سحر الساحرين أقسم بالخنس الجواري الكنس أي بكل ما يخنس ويجري ويكنس من الظباء وبقر الوحش والكواكب والدراري الخمسة عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل. والمراد من الخنوس الاختفاء والكنوس إيواءها إلى مكانسها[2] مواضع إيوائها. وقوله والليل إذا عسعس أي أقسم بالليل إذا أقبل أو أدبر إذ لفظ عسعس بمعنى أقبل وأدبر فهو لفظ مشترك بين الإقبال والإدبار والصبح إذا تنفس أي امتد ضوءه فصار نهاراً بينا أقسم بكل هذه المذكرات على أن القرآن الذي يصف لكم البعث والجزاء حق الوصف هو قول رسول كريم أي جبريل الكريم على ربّه ذي قوة لايقادر قدرها فلا يقدر إنس ولا جن على انتزاع ما عنده من الوحي ولا على زيادة فيه أو نقص منه. عند ذي العرش سبحانه وتعالى مكين أي ذي مكانة محترمة مطاع في السموات أمين على الوحي هذا أولا وثانيا والله وما صاحبكم محمد ﷺ بمجنون كما تقولون ولقد رآه أي رأى محمد ﷺ جبريل بالأفق المبين رآه على صورته التي خلقه الله عليها وله ستمائة جناح رآه بالأفق ناحية الشرق وقد سد الأفق كله، والأفق بيّن والنهار طالع. وما هو أي محمد ﷺ على الغيب بضنين [3] أي بمظنون فيه التهمة بأن يزيد فيه أو ينقص منه أو يبدل فيه أو يغير كما هو ليس ببخيل فيظن فيه أنه يكتم منه شيئا أو يخفيه بخلا به أو ينقص منه شحا به وبخلا. وما هو بقول شيطان رجيم ممن يسترقون السمع ويلقونه إلى أوليائهم من الإنس فيخلطون فيه ويكذبون. وقوله تعالى

(١) فلا أقسم الفاء للتفريع أي لتفريع الكلام اللاحق على السابق وجائز أن تكون لا مزيدة لتقوية القسم، وكونها نافية رداً عل باطل المشركين أو لا كما في التفسير.

(٢) الخنس جمع خانسة وهي التي تخنس. أي تختفي، والكنس جمع كانسة: كنس الظبي إذا دخل كناسه بكسر الكاف وهو البيت الذي يتخذه للمبيت، وقيل الكنوس أن تأوي إلى مكانسها وهي المواضع التي تأوي إليها الوحوش والظباء. قال الأعشى:

فلما أتينا الحي أتلع أُنّسٌ كما أتلعت تحت المكانس ربرب

(٣)قريء في السبع بظنين بالظاء ومعناه بمتهم من ظننت كذا وقريء بضنين بالضاد بمعنى بخيل ولذا شرحت الآية مراعياً فيها القراءتين وكلا المعنيين صحيح فلا هو ﷺ بمتهم على الوحي ولا ببخيل به ولا بغيره.

فأين تذهبون[1] ينكر عليهم مسلكهم الشائن في تكذيب رسوله محمد ﷺ واتهامه بالسحر، والقرآن بالشعر والكهانة والأساطير. وقوله إن هو إلا ذكر للعالمين أي ما القرآن الكريم إلا ذكر للعالمين من الإنس والجن يذكرون به خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم وما له عليهم من حق العبادة وواجب الشكر ويتعظون به فيخافون ربهم فلا يعصونه بترك فرائضه عليهم ولا بارتكاب ما حرمه عليهم وقوله تعالى لمن شاء منكم أن يستقيم على منهاج الحق فيتحرى الحق أولا ويؤمن به ويعمل بمقتضاه ثانيا. ولما سمع أبو جهل هذه الآية ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ قال الأمر إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم. أنزل تعالى قوله ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله ربّ العالمين﴾ فاكبت اللعين فاعلم أن من شاء الاستقامة من العالمين لم يشأها إلا بعد أن شاءها الله تعالى له ولو لم يشأها الله تعالى والله ما شاءها العبد أبدا إذ مشيئة الله سابقة لمشيئة العبد، وفي كل ما يشاؤه الإنسان فإن مشيئة الله سابقة لمشيئته لأن الإنسان عبد والله رب والرب لا مشيئة تسبق مشيئته.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ مشروعية الإقسام بالله تعالى وأسمائه وصفاته.

٢ـ تقرير الوحي وإثبات النبوة المحمدية.

٣ـ بيان صفات جبريل الكمالية الأمانة، القوة، علو المكانة، الطاعة، الكرم.

٤ـ براءة الرسول مما اتهمه به المشركون.

٥ـ بيان أن مشيئة الله سابقة لمشيئة العبد. فلا يقع في ملك الله تعالى إلا ما يريد.

سُورَةُ الانفِطَارِ

مكيـة وآياتها تسع عشرة آيـة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ
فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ

(١) فأين الفاء لتفريع التوبيخ وأين اسم استفهام عن المكان والاستفهام إنكاري.

وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى
خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا
كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾

شـــرح الكلمـات:

إذا السماء انفطرت : أي انشقت.

وإذا الكواكب انتثرت : أي تساقطت.

وإذا البحار فجرت : أي اختلطت ببعضها وأصبحت بحراً واحداً الملح والعذب سواء.

وإذا القبور بعثرت : قلب ترابها وبعث موتاها.

علمت نفس ما قدمت : أي من الأعمال وما أخرت منها فلم تعمله. وذلك عند قراءتها كتاب أعمالها.

ما غرك بربك : أي أي شيء خدعك وجرّأك على عصيانه.

الذي خلقك : أي بعد أن لم تكن.

فسواكَ : أي جعلك مستوى الخلقة سالم الأعضاء.

فعدلك : أي جعلك معتدل الخلق متناسب الأعضاء ليست يد أطول أو رجل أطول من الأخرى.

كلا بل تكذبون بالدين : ليس الكرم هو الذي غره وإنما جرّأه على المعاصي تكذيبه بالدين الذي هو الجزاء بعد البعث حياً من قبره.

وإن عليكم لحافظين كراما : أي وإن عليكم لملائكة كراما على الله تعالى حافظين لأعمالكم.

كاتبين : أي لها أي لأعمالكم خيرها وشرها حسنها وقبيحها.

معنى الآيات:

قوله تعالى إذا[1] السماء انفطرت[2] أي انشقت وإذا الكواكب انتثرت أي انفضّت وتساقطت وإذا

(١) إذا ظرف للمستقبل متضمن معنى الشرط. وجوابه علمت نفس ما قدمت وأخرت.

(٢) صيغة الماضي في انفطرت وانتثرت، وفجرت وبعثرت للدلالة على تحقق الوقع نحو (أتى أمر الله).

البحار فجرت أي اختلط ماؤها بعضه ببعض ملحها بعذبها لانكسار ذلك الحاجز الذي كان يفصلهما عن بعضهما لزلزلة الأرض إيذاناً بخراب العالم، وإذا القبور بعثرت[1] قلبت وأخرج مافيها من الأموات، إذا حصلت هذه الأحداث الأربعة ثلاثة منها في الدنيا وهي انفطار السماء وانتثار الكواكب وتفجر البحار وهذه تتم بالنفخة الأولى والرابع وهو بعثرة القبور يتم في الآخرة بعد النفخة الثانية، وعندها تعلم نفس ما قدمت وما أخرت وهذا جواب إذا في أول الآيات. ومعنى علمت نفس[2] أي كل نفس مكلفة ما قدمت من أعمال حسنة أو سيئة، وما أخرت من أعمال لحقتها بعدها وذلك ما سنته من سنن الهدى أو سنن الضلال، لحديث من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها لاينقص من أجورهم شيء، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عملها لا ينقص من أوزارهم شيء، وهذا العلم يحصل للنفس أولا مجملا وذلك عند ابيضاض الوجوه واسودادها، ويحصل لها مفصلا عندما تقرأ كتاب أعمالها. وقوله تعالى يا أيها الإنسان ما غرك[3] بربك الكريم يخاطب تعالى الإنسان الكافر والفاجر ليسأله موبخا إياه مقرعا مؤنبا بقوله ما غرك أي أي شيء خدعك وجرأك على الكفر بربك الكريم وعصيانه بالفسق عن امره والخروج عن طاعته. وهو القادر على مؤاخذتك والضرب على يديك ساعة ما كفرت به أو عصيته أليس هو الذي خلقك فسوى خلقك وعدل[4] أعضاءك وناسب بين أجزائك في أي صورة ما شاء ركبك إن شاء بيضك أو سودك طولك أو قصرك جعلك ذكراً أو انثى انساناً أو حيوانا قرداً أو خنزيراً هل هناك من يصرفه عما أراد لك والجواب لا أحد إذاً كيف يسوغ لك الكفر به وعصيانه والخروج عن طاعته وبعد هذا التوبيخ والتأنيب قال تعالى كلا أي ما غرك كرم[5] الله ولا حلمه بل تكذيبكم بالدين أي بالبعث والجزاء في الدار الآخرة هو الذي جرأكم على الكفر والظلم والإجرام وما علمتم والله إن عليكم لحافظين يحفظون عليكم أعمالكم ويحصونها لكم ويكتبونها في صحائفكم. يعلمون ما

---

(١) بعثرت: انقلب باطنها ظاهرها إذ البعثرة الانقلاب يقال بعثر المتاع إذا قلب بعضه على بعض.

(٢) ليس بلازم انها بمجرد ما يحصل الذي جعلت إذا شرطاً له يتم العلم للنفس، وانما إذا قامت القيامة بحصول الانقلاب الكوني وحشر الناس لفصل القضاء ثم يحصل للنفس. فتعلم ما قدمت وما أخرت.

(٣) الإنسان هنا للجنس وقيل المراد به أبو الأسد بن كلدة الجمحي والاستفهام للإنكار عليه كفره والتعجب من حاله ونداؤه (يا أيها الإنسان) مشعر بالاهتمام.

(٤) (فعدلك) قرأ نافع فعدّلك بتشديد الدال. وقرأ حفص بتخفيفها.

(٥) روي أن النبي ﷺ قرأ (إذا السماء انفطرت) قال غره جهله قيل للفضيل بن عياض لو اقامك الله يوم القيامة بين يديه فقال (ما غرك بربك الكريم) ماذا كنت تقول؟ قال: كنت أقول غرني ستورك المرخاة لأن الكريم هو الستار نظمه ابن السماك فقال:

يا كاتم الذنب أما تستحي والله في الخلوة ثانيكا
غرك من ربك امهالـه وستره طـول مساويكـا

تفعلون في السر والعلن وسوف تفاجأون يوم تعلم نفس ما قدمت وأخرت بصحائف أعمالكم وقد حوت كل أعمالكم لم تغادر صغيرة منها ولا كبيرة ويتم الجزاء بموجبها.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان أحداث تسبق يوم البعث وذلك في نفخة الفناء وأما النفخة الثانية وهي نفخة البعث حيث تجمع الخلائق ويجرى الحساب فتعطى الصحف وتوزن الأعمال وينصب الصراط، ثم إلى جنة أو إلى نار.

٢- التحذير من السنة السيئة يتركها المرء بعده فإن أوزارها تكتب عليه وهو في قبره.

٣- التحذير من الغرور والانخداع بعامل الشيطان من الإنس أو الجن.

٤- التحذير من التكذيب بالبعث والجزاء فإنه اكبر عامل من عوامل الشر والفساد في الدنيا وأكبر موجب للعذاب يوم القيامة.

٥- تقرير عقيدة كتابة الأعمال حسنها وسيئها والحساب بمقتضاها يوم القيامة بواسطة ملكين كريمين على كل إنسان مكلف لحديث الصحيح يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار الحديث.

إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ
ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ
﴿١٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ
﴿١٨﴾ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات:

إن الأبرار : أي المؤمنين المتقين الصادقين.

وإن الفجار : أي الكافرين والخارجين عن طاعة الله ورسوله.

يصلونها يوم الدين : أي يدخلونها ويقاسون حرها يوم الجزاء وهو يوم القيامة.

وما هم عنها بغائبين : أي بمخرجين.

وما أدراك ما يوم الدين : أي أي شيء جعلك تدري لولا أنا علمناك.

لا تملك نفس لنفس شيئا : أي من المنفعة وإن قلت.

والأمر يومئذ لله : أي لا لغيره، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه.

معنى الآيات:

تقدم أن العرض على الله حق وان المجازاة تكون بحسب الأعمال التي عملها المرء، وأنها محفوظة محصاة عليه بواسطة ملائكة كرام. وأن الناس يومئذ كما هم اليوم مؤمن بار وكافر فاجر. بين تعالى جزاء الكل مقرونا بعلة الحكم فقال عز وجل إن الأبرار لفي[1] نعيم أي في الجنة دار السلام وذلك لبرورهم وهو طاعتهم لله في صدق كامل وإن الفجار لفي جحيم أي نار ذات جحيم وذلك لفجورهم وهو كفرهم وخروجهم عن طاعة ربهم. وقوله يصلونها[2] أي يدخلونها ويقاسون حرها يوم الدين أي يوم الجزاء الذي كفروا به فأدى بهم إلى الفجور وارتكاب عظائم الذنوب. وقوله وما هم عنها بغائبين[3] أي إذا دخلوها لا يخرجون منها. وقوله وما أدراك ما يوم الدين أي وما يعلمك يارسولنا مايوم الدين إنه يوم عظيم يوم يقوم الناس لربِّ العالمين هكذا يخبر تعالى عن عظم شأن هذا اليوم. ويؤكد ذلك فيقول ثم ما أدراك ما يوم الدين ويكشف عن بعض جوانب الخطورة بقوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا من المنفعة حيث يكون الأمر كله فيه لله وحده ولا تنفع فيه الشفاعة إلا بإذنه وما للظالمين فيه من شفيع ولا حميم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان حكم الله في أهل الموقف إذ هم ما بين بار صادق فهو في نعيم وفاجر كافر فهو في جحيم.

٢- بيان عظم شأن يوم الدين وأنه يوم عظيم.

٣- بيان أن الناس في يوم الدين لا تنفعهم شفاعة ولا خلة إذ لا يشفع أحد إلا بإذن الله والكافرون هم الظالمون، وما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع.

---

(١) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، إذ تقدم من الكلام ما يجعل المرء يتشوق إلى معرفة مصير الناس يوم القيامة والأبرار جمع بر وهو التقي المطيع الصادق والنعيم اسم لما ينعم به.

(٢) يصلونها قال القرطبي يُصيبهم حرها ولهيبها وهذا قطعاً بعد دخولها.

(٣) كونهم لا يغيبون عنها دال على أن الفجار هم المشركون والكافرون إذ المؤمنون لا يخلدون في النار.

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

مدنية الأوائل مكية الأواخر وآياتها ست وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم
مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

شرح الكلمات:

ويل	: كلمة عذاب، وواد في جهنم.
للمطففين	: المنقصين في كيل أو وزن الباخسين فيهما.
إذا اكتالوا على الناس	: أي من الناس.
يستوفون	: الكيل.
وإذا كالوهم	: أي كالوا لهم.
أو وزنوهم	: أي وزنوا لهم.
يخسرون	: أي ينقصون الكيل أو الوزن.
ألا	: استفهام توبيخي انكاري.
يظن	: أي يتيقن.
ليوم عظيم	: أي يوم القيامة لما فيه من أهوال وعظائم الأمور.
يوم يقوم الناس	: أي من قبورهم.
لرب العالمين	: أي يقومون خاشعين ذليلين ينتظرون حكم الله فيهم.

معنى الآيات:

قوله تعالى ويل للمطففين[1] هذه الآيات الأولى من سورة المطففين قال أحد الأنصار رضي الله عنه كنا أسوأ الناس كيلا،[2] حتى إنه ليكون لأحدنا مكيالان مكيال يشتري به وآخر يبيع به، وما إن

---

(١) روى النسائي عن ابن عباس قال لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله تعالى: (ويل للمطففين) فأحسنوا الكيل بعد ذلك، قال الفرّاء: فهم من أوفى الناس كيلا إلى يومهم هذا.

(٢) أيام نزول هذه السوة كان أهل المدينة يكيلون وأهل مكة يزنون ثم شاع الكيل والوزن في كلا البلدين معاً.

نزلت فينا ويل للمطففين حتى أصبحنا أحسن كيلا ووزنا. وصدق هذا الصاحب الجليل فوالله لقد نزلت المدينة مهاجرا عام ثلاثة وسبعين وثلثمائة وألف فوجدتهم على ما كانوا عليه ولقد كنت أشفق عليهم إذا كالوا لي أو وزنوا لي. فقوله تعالى ويل للمطففين[1] يتوعد سبحانه وتعالى بواد في جهنم بسيل صديد أهل النار الذين يبخسون الناس الكيل والميزان أي ينقصونهم ويبينهم تعالى بقوله الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون أي اشتروا منهم يأخذون كيلهم وافيا وكذا إذا وزنوا وإذا كالوهم أي كالوا لهم[2] أو وزنوا لهم يخسرون أي ينقصون. قال تعالى موبخا لهم منكرا ألا يظن أولئك المطففون[3] أنهم مبعوثون من قبورهم ليوم عظيم هو يوم الدين والجزاء والحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين خاشعين ذليلين ينتظرون حكمه فيهم، ويطول بهم الموقف المائة سنة وأكثر وإن أحدهم ليلجمه العرق إلجاما ومنهم من يصل العرق إلى نصف أذنيه والروايات في هذا كثيرة وصحيحة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- حرمة[4] التطفيف في الكيل والوزن وهو أن يأخذ زائداً ولو قل أو ينقص عامداً شيئا ولو قل. وماكان بغير عمد ولا قصد فإنه مما يُعفا عنه.

٢- التذكير بالبعث والجزاء وتقريرهما.

٣- عظم يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ليحكم بينهم ويجزي كلا بعمله خيرا أو شرا.

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾

---

(١) يروي بعضهم أن التطفيف في الكيل والوزن والوضوء والصلاة وأسوأ الناس سرقة من يسرق في صلاته وروي عن سالم بن أبي الجعد: قال الصلاة بمكيال فمن أوفى أُوفيَ له، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله عز وجل.

(٢) شاهده قول الشاعر:

ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا   ونهيتك عن بنات الأوبر

والشاهد في قوله جنيتك أي جنيت لك.

(٣) المطفف مأخوذ من الطفيف وهو القليل، والمطفف هو المقل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن والتطفيف هو النقص من حق المقدار في الموزون والمكيال، وهو مصدر طفف إذا بلغ الطفاف، والطفاف ما قصر عن ملء الإناء من شراب أو طعام، ويطلق الطف على ما تجاوز عرض المكيال فهي زيادة طفيفة أو نقصان طفيف وهما محل النهي وفاء أو نقصان.

(٤) روى مالك والبزار عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال خمس بخمس: ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، ولا حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشى فيهم الفقر، وما ظهرت الفاحشة فيهم إلا ظهر فيهم الطاعون، وما طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس الله عنهم المطر.

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾

شرح الكلمات :

كلا : أي حقا وأن الأمر ليس كما يظن المطففون .

لفي سجين : سجين علم على كتاب ديوان الشر دوّن فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة وهو أيضاموضع في أسفل الأرض السابعة فيه سجين الذي هو ديوان الكتب وبه أرواح الأشقياء عامة .

كتاب مرقوم : أي مسطور بيّن الكتابة فيه أعمالهم .

يوم الدين : أي يوم القيامة الذي هو يوم الحساب والجزاء .

كل معتد : أي ظالم مضيع حقوق ربه تعالى وحقوق غيره .

أثيم : منغمس في الآثام مكثر منها .

أساطير الأولين : أي ما سطره الأولون من القصص والأخبار التي لا تصح .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في التحذير من الظلم والفسق عن أوامر الرب تبارك وتعالى وقوله تعالى كلا[1] أي ليس الأمر كما يظن المطففون والباخسون للحقوق أنه لادقة في الحساب والجزاء أو أن مثل هذا لا يكتب ولا يحاسب عليه ولا يجزى به حقا إن كتاب الفجار أي الظلمة الفاجرين عن الشرع وحدوده لفي سجين موضع في أسفل الخلق به أرواح الكافرين والظالمين وكتب أعمالهم ، وقوله ﴿وما أدراك ما سجين[2]﴾ أي وما أعلمك يارسولنا ما سجين تفخيم لشأنه . وقوله كتاب[3] مرقوم بيان لكتاب الفجار أي انه مكتوب مسطور بيّن الكتابة ، ويل يومئذ للمكذبين أي العذاب الأليم بوادي الويل يوم القيامة للمكذبين بالله وآياته ولقائه المكذبين بيوم الجزاء والحساب وقوله تعالى : ﴿وما يكذب به إلا كل معتد أثيم[4]﴾ يريد وما يكذب بيوم الجزاء والحساب إلا كل معتد ظالم متجاوز للحد أثيم مرتكب للذنوب والآثام بفسقه عن أوامر ربّه وخروجه عن طاعة الله بغشيانه

---

(١) كلا كلمة ردع وزجر لأولئك الذين يطففون ألا فلينزجروا ويتركوا التطفيف والبخس في الكيل والوزن.

(٢) الاستفهام للتهويل من شأن سجين.

(٣) كتاب خبر محذوف المبتدأ والتقدير هو أي كتاب الفجار كتاب وقوم.

(٤) الأثيم مبالغة في الإثم أي كثير الإثم والإثم كل اعتقاد أو قول أو عمل ضار قبيح أو فاسد.

المحارم وقوله ﴿ إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾ هذا بيان لذلك المعتدي الأثيم وهو انه إذا قرئت عليه آيات الله تذكيرا له وتعليما ردها بقوله أساطير الأولين أي هذه حكايات وأخبار الأولين مسطرة مكتوبة وأنكر كتاب الله وكذب به.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان كتاب الفجار وأنه في سجين وسجين ديوان تدون فيه سائر كتب الفجار من أهل النار وموضع أسفل الأرض السابعة مستودع لكتب أعمال الفجار من كفار وفساق ولأرواحهم إلى يوم القيامة ولفظ سجين مشتق من السجن الذي هو الحبس.

٢- الوعيد الشديد للمكذبين بالله وبآياته ولقائه.

٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

شرح الكلمات:

ران على قلوبهم : أي غطّى قلوبهم وحجبها عن قبول الحق.

ما كانوا يكسبون : أي من الذنوب والآثام.

لمحجوبون : أي يحال بينهم وبين رؤية الربّ إلى يوم القيامة.

لصالو الجحيم : أي لداخلوها ومحرقون معذبون بها.

هذا الذي كنتم به تكذبون: أي يقال لهم توبيخا وخزيا لهم وهم في العذاب هذا الذي كنتم به تكذبون.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في التنديد بالاعتداء والمعتدين والإثم والآثمين فقال تعالى بل ران[1] على قلوبهم ما كانوا يكسبون أي ما الأمر كما يدعون من أن القرآن أساطير الأولين وإنما ران على

(١) الران والرين مصدران لران يرين ريناً ورانا كالعيب والعاب والذيم والذام.

قلوبهم أي غشّاها وغطاها أثر الذنوب والجرائم فحجبها عن معرفة الحق وقبوله[1]، وقوله كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون أي ردعا لهم وزجرا عن أقوالهم الباطلة وأعمالهم الفاسدة إنهم عن ربهم لمحجوبون فلا يرونه ولا يرون كرامته ثم إنهم لصالو الجحيم أي لداخلوها ومصطلون بحرها معذبون بأنواع العذاب فيها ثم يقال لهم توبيخا وخزيا وتأنيبا هذا أي العذاب الذي كنتم به في الدنيا تكذبون حتى واصلتم كفركم وإجرامكم فحل بكم هذا الذي أنتم فيه الآن فذوقوا فلن تزدادوا إلا عذابا.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- التحذير من مواصلة الذنوب وعدم التوبة منها حيث يؤدي ذلك بالعبد إلى أن يُحرم التوبة ففي حديث أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء فإن تاب صقل منها فإن عاد عادت حتى تعظم في قلبه فذلك الران الذي قال الله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون.

٢- تقرير رؤية الله تعالى في الآخرة بدليل قوله إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون أي الأشقياء إذاً فالسعداء غير محجوبين فهم يرون ربهم ويشهد له قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة.

٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ
﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ
﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي
وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾
خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ
مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾

---

(١) روى الترمذي وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر الله وتاب صقل قلبه، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه. وهو الران الذي ذكر الله تعالى في كتابه (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون).

شرح الكلمات:

كتاب الأبرار : أي كتاب أعمالهم والأبرار هم المطيعون لله ولرسوله الصادقون.

لفي عليين : أي في موضع يسمى عليين في أعلى الجنة.

كتاب مرقوم : أي كتاب مرقوم بأمان من الله إياه من النار يوم القيامة والفوز بالجنة.

يشهده المقربون : أي يحضره المقربون من أهل كل سماء ويحفظونه لأنه يحمل أماناً لصاحبه من النار وفوزه بالجنة.

إن الأبرار لفي نعيم : أي إن الذين بروا ربهم بطاعته بأداء الفرائض واجتناب النواهي لفي نعيم الجنة.

على الأرائك : أي على الأسرة ذات الحجال.

ينظرون : أي ما آتاهم ربهم من صنوف النعيم.

تعرف في وجوههم نضرة النعيم : أي حُسنه وبريقه وتلألؤه.

من رحيق : أي من خمر صرف خالصة لا غش فيها ولا دنس.

مختوم : أي مختوم على إنائها لا يفك ختمه إلا هم.

ختامه مسك : أي آخر شربها يفوح برائحة المسك.

وفي ذلك : أي لا في غيره.

فليتنافس المتنافسون : أي فليطلب بالطاعة والاستقامة الطالبون للنعيم المقيم.

ومزاجه من تسنيم : أي ومزاج شرابهم من عين تجري من عال تسمى التسنيم.

عينا يشرب بها المقربون : عينا هي التسنيم يشرب منها المقربون صرفا وتمزج لأصحاب اليمين.

معنى الآيات:

بعد أن ذكر تعالى كتاب الفجار وما ختم له به ذكر كتاب الأبرار وما ختم له به فقال كلا أي حقا إن كتاب الأبرار وهم جمع بر أو بار وهو المؤمن الذي بر ربه بطاعته في أداء فرائضه واجتناب نواهيه وكان صادقا في ذلك كتاب أعمال هؤلاء الأبرار في عليين وما أدراك يارسولنا ما عليون[1] إنه موضع في أعلى الجنان[2]. وقوله كتاب مرقوم يريد كتاب الأبرار الموضوع في عليين كتاب مرقوم

---

(١) الاستفهام للتفخيم والتعظيم بشأن عليين إذ هو في أعلى مرتبة وأسمى منزلة.

(٢) قال البراء بن عازب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ عليون في السماء السابعة تحت العرش.

بأمان من الله لصاحبه من النار والفوز بالجنة يشهده المقربون أي مقربو كل سماء يحضرونه ويحفظون له ويشهدون بما فيه من الأمان لصاحبه من النار والفوز بالجنة. وقوله تعالى إن الأبرار[1] وأصحاب الكتب المودعة في عليين لفي نعيم يريد يوم القيامة والنعيم هو نعيم الجنة وهذا لون منه على الأرائك أي الأسرة ذات الحجال ينظرون إنهم جالسون على الأرائك ينظرون[2] باستحسان وإعجاب ملكهم الكبير الذي ملكهم الله تعالى وقد يمتد مسافة ألفي سنة وينتهي إليه بصرهم تعرف في وجوههم نضرة النعيم أي حسنه وبريقه وتلألؤه وقوله يسقون من رحيق مختوم أي من خمر هي الرحيق صافية لا دنس فيها ولا غش مختوم على أوانيها لايفكها إلا هم. ختامه مسك آخر هذا الشراب[3] يفوح برائحة المسك الأذفر فهي طيبة الرائحة للغاية. وقوله تعالى وفي ذلك فليتنافس[4] المتنافسون أي وفي مثل هذا النعيم لا في غيره من حطام الدنيا وشرابها وملكها الزائل يجب أن يتنافس المتنافسون أي في طلبه بالإيمان وصالح الأعمال بعد البعد كل البعد عن الشرك وسيئي الأقوال وقبيح الأفعال. وقوله تعالى ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون. أي إن ذلك الرحيق يمزج لأصحاب اليمين بماء عين تسمى التسنيم ويشربه المقربون صرفا أي خالصا بدون مزج من عين التسنيم وقوله يشرب بها الباء بمعنى من أو ضمن يشرب معنى يلتذ أي يلتذ بها وقد سبق في سورة الإنسان وقلت إنها لطيب شرابها تكاد تكون آلة للشرب فتكون الباء للآلة على بابها نحو شربت بالكأس.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ الثناء على الأبرار وبيّان ما أعد الله تعالى لهم وهم المؤمنون المتقون الصادقون في ذلك.

٢ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر ما يجري فيها.

٣ـ الترغيب في العمل الصالح للحصول على نعيم الجنة لقوله تعالى ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾.

---

(١) الأبرار جمع بر هم أهل الطاعة والصدق فيها.

(٢) وقيل ينظرون إلى أعدائهم في النار وهم على أرائكهم ولا عجب لما ظهر اليوم من آلة التلفاز.

(٣) الرحيق هي الخمر العتيقة البيضاء الصافية من الغش، النيرة قال حسان:

يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسل

والبريص نهر بدمشق وبردى نهر آخر بها ويصفه يخرج والرحيق الخمر البيضاء.

(٤) يقال نفست عليه الشيء أنفسه نفاسة أي ضننت به ولم أحب أن يصير إليه وذلك لحسنه وجودته وتعلق النفس به.

إِنَّ ٱلَّذِينَ
أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ
يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾
وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ
حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾
عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

شرح الكلمات:

إن الذين أجرموا : أي على أنفسهم بالشرك والمعاصي كأبي جهل وأميّة بن خلف وعتبة بن أبي معيط.

من الذين آمنوا : أي كبلال وياسر وعمار وصهيب وخبيب.

يتغامزون : أي يشيرون إلى المؤمنين بالجفن والحاجب استهزاء بهم.

فكهين : أي إذا رجعوا إلى ديارهم وأهليهم يرجعون نشاوى فرحين معجبين بحالهم.

وإذا رأوهم : أي وإذا رأى أولئك الفكهون رأوا المؤمنين.

قالوا إن هؤلاء لضالون : إن هؤلاء يعنون المؤمنين من أصحاب محمد ﷺ لضالون بتركهم دينهم واتخاذهم لدين محمد ﷺ الجديد.

وما أرسلوا عليهم حافظين : أي ولم يكلفهم الله تعالى بحفظ أعمالهم ورعاية أحوالهم. وإنما هم متطفّلون.

فاليوم : أي يوم القيامة.

من الكفار يضحكون : أي من أجل ما هم فيه من العذاب حيث يرونهم وهم على أرائكهم.

هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون : أي هل جوزي الكفار بما كانوا يفعلون من الكفر والشر والفساد؟ والجواب نعم نعم نعم.

معنى الآيات :

بعدما بيّن تعالى حال الأبرار في دار الأبرار وذكر ما شاء الله أن يذكر من نعيمهم ترغيبا وتعليماً بعد أن ذكر في الآيات قبلها حال المجرمين وما أعد لهم من عذاب في دار العذاب. ذكر تعالى هنا في خاتمة السورة ما أوجب للمجرمين وهو النار، وما أوجب للمؤمنين وهو الجنة فذكر طرفا من سلوك المجرمين وآخر من سلوك المؤمنين فقال عز من قائل إن الذين أجرموا[1] أي على أنفسهم أي أفسدوها بالشرك والشر والفساد كأبي جهل والوليد بن المغيرة والعاصي وغيرهم كانوا من الذين آمنوا كبلال وعمار وصهيب وخبيب وأضرابهم من فقراء المؤمنين يضحكون[2] استهزاء بهم وسخرية. وإذا مروا بهم في شوارع مكة وحول المسجد الحرام يتغامزون يشيرون إليهم بالجفن والحاجب على عادة المتكبرين وإذا انقلبوا أي رجعوا إلى أهلهم في ديارهم انقلبوا فكهين[3] ناعمين معجبين بحالهم فرحين بما عندهم وإذا رأوهم أي وإذا رأى أولئك المجرمون المؤمنين أشاروا إليهم وقالوا إن هؤلاء لضالون بتركهم دينهم واعتناق دين محمد الجديد في نظرهم. قال تعالى وما أرسلوا عليهم[4] حافظين أي على أعمالهم وأحوالهم حتى يقولوا ما قالوا وإنما هم متطفلون يدعون ما ليس لهم لقبح سلوكهم وسوء فهومهم، قال تعالى فاليوم[5] يوم القيامة الذين آمنوا من الكفار يضحكون أي من الكفار على الأرائك أي الأسرة ذات الحجال ينظرون إلى الكفار وهم في النار ويضحكون منهم وهم يعذبون ولا عجب في كيفية رؤيتهم لهم وهم في النار أسفل سافلين والمؤمنون في أعلى عليين إذ البث التلفزيوني اليوم قطع العجب وأبطله. وقوله تعالى هل ثوّب[6] الكفار أي هل جوزي الكفار على أفعالهم الإجرامية؟ والجواب معلوم مما تقدم إذ وصفت حالهم وبين عذابهم والعياذ بالله من عذابه وأليم عقابه.

---

(١) الإجرام مصدر أجرم إذا ارتكب الجرم وهو الإثم العظيم وأعظمه الشرك والكفر.

(٢) معنى يضحكون منهم أنهم يضحكون من حالهم وهي حال خاصة كالفقــر والضعف أو ترك دينهم إلى دين آخر قال الحارث بن عبد يغوث:

وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم تر قبلي أسيراً يمانياً

(٣) قرأ نافع والجمهور فاكهين بصيغة اسم الفاعل، وقرأ حفص بدون ألف على أنه جمع فكه صفة مشبهة، والمعنى واحد كفارح وفرح.

(٤) الجملة متضمنة معنى التهكم بأولئك الضاحكين الساخرين من فقراء المؤمنين.

(٥) تقديم الظرف فاليوم للاهتمام به لأنه يوم الجزاء وفيه تشفى صدور المؤمنين من الأعداء.

(٦) الجملة فذلكة ما تقدم من اعتداء المشركين على المؤمنين وما ترتب عليه من الجزاء يوم القيامة والاستفهام بهل تقريري وتعجب من عدم إفلاتهم منه بعد دهور، وثوب بمعنى أعطى الثواب يقال أثابه وثوبه إذا أعطاه ثوابه وهو جزاء عمله وفي التفسير الثواب تهكم واضح بالمشركين نحو بشرهم بعذاب أليم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ التنديد بالإجرام والمجرمين .

٢ـ بيان ما كان عليه المشركون في مكة إبّان الدعوة وما لقيه المؤمنون منهم .

٣ـ بيان أن المؤمنين سيرون المشركين في الجحيم ويضحكون منهم وهم في نعيمهم والمشركون في جحيمهم .

٤ـ بيان إكرام الله لأوليائه ، وإهانته تعالى لأعدائه .

سورة الانشقاق

مكية وآياتها خمس وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ
﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا
الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ
إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ
يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾
إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾

شرح الكلمات :

إذا السماء انشقت : أي بالغماموهو سحاب أبيض رقيق وذلك لنزول الملائكة .

وأذنت لربها : أي سمعت وأطاعت .

وحقت : أي وحق لها أن تسمع أمر ربها وتطيعه .

وإذا الأرض مدت : أي زيد في سعتها كما يمد الأديم أي الجلد إذ لم يبق عليها بناء ولا جبل .

وألقت ما فيها وتخلت	: أي ألقت ما فيها من الموتى ألقتهم أحياء إلى ظهرها وتخلت عنه أي عما كان في بطنها.
إنك كادح	: أي عامل كاسب للخير أو الشر.
إلى ربك كدحا	: أي إلى أن تلقى ربك وأنت تعمل وتكسب فليكن عملك مما يرضي عنك ربك.
فملاقيه	: أي ملاق ربك بعد موتك وبعملك خيره وشره.
كتابه	: أي كتاب عمله وذلك بعد البعث.
وينقلب إلى أهله مسرورا	: أي بعد الحساب اليسير يرجع إلى أهله في الجنة من الحور العين فرحا.
وراء ظهره	: أي يأخذه بشماله من وراء ظهره إهانة له.
يدعو ثبورا	: أي ينادي هلاكه قائلا واثبوراه واثبوراه أي ياهلاكه.
ويصلى سعيرا	: أي ويحرق بالنار تحريقا وينضج انضاجة بعد اخرى على قراءة يُصلّى بالتضعيف.
إنه ظن أن لن يحور	: أي انه كان في الدنيا يظن انه لا يرجع إلى الحياة بعد الموت فلذا لم يعمل خيرا قط ولم يتورع عن ترك الشر قط لعدم إيمانه بالبعث.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿إذا السماء انشقت﴾ يخبر تعالى أنه إذا انشقت السماء أي تصدعت وتفطرت وذابت فصارت كالدهان ﴿وأذنت لربها وحقت﴾ أي وسمعت[1] لأمر ربها واستجابت ﴿فكانت﴾ كما أمرها الله أن تكون منشقة منفطرة حتى تكون كالمهل، ﴿وإذا الأرض[2] مدت﴾ من الأديم واتسعت رقعتها حيث زال منها الجبال والآكام والمباني والعمارات وأصبحت قاعا صفصفا ﴿وألقت ما فيها﴾ أي ما في بطنها من أموات ﴿وتخلت﴾ عنه أي عما كان في بطنها ﴿وأذنت لربها﴾ في ذلك كله أي سمعت وأجابت ﴿وحقت﴾ أي وحق لها أن تسمع وتجيب وتطيع

(١) شاهده قوله ﷺ ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن أي ما استمع لشيء الخ.. وقال الشاعر:

صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به   وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

أذنوا بمعنى سمعوا.

(٢) إذا ظرف خافض لشرطه منوصب بجوابه.

وجواب إذا الأولى والثانية واحد وهو ﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾[1] أو ما أحضرت كما تقدم نظيره في التكوير والانفطار. وقوله تعالى ﴿يا أيها الإنسان﴾ أي يا بن آدم ﴿إنك كادح إلى ربك[2] كدحا﴾ أي إنك عامل تعمل يوميا وليل نهار إلى أن تموت وتلقى ربك إنك لا تبرح تعمل لا محالة وتكسب بجوارحك الخير والشر إلى الموت حيث تنتقل إلى الدار الآخرة وتلقى ربك وتلاقيه هذا يشهد له قول الرسول ﷺ في الصحيح[3] [كلكم يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها]، إذا فمن الخير لك يا أيها الإنسان المكلف أن تعمل خيرا تلاقي به ربك فيرضى عنك به ويكرمك إنك حقا ملاق ربك بعملك فأنصح لك أن يكون عملك صالحا وانظر إلى الصورة التالية ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ لأنه حوى الخير ولا شر فيه ﴿فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾[4] ينظر في كتابه ويقرر هل فعلت كذا فيعترف ويتجاوز عنه وينقلب إلى أهله في الجنة وهم الحور العين والنساء المؤمنات والذرية الصالحة يجمعهم الله ببعضهم كرامة لهم وهو قوله تعالى ﴿والذين[5] آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم﴾ ﴿وأما من أوتي كتابه﴾ أي كتاب أعماله [redacted]

حضورك ﴿ويصلى[6] سعيرا﴾ أي ويدخل نارا مستعرة شديدة الالتهاب ويصلى أيضا فيها تصلية أي ينضح فيها لحمه المرة بعد المرة وأبدا. والعياذ بالله وعلة ذلك وسببه هو ﴿أنه كان في أهله﴾ في الدنيا ﴿مسرورا﴾ لا يخاف الله ولا يرجو الدار الآخرة يعمل ما يشاء ويترك ما يشاء إنه ظن أن لن يحور[7] أي انه لايرجع حيا بعد موته ولا يحاسب ولايجزى هذه علة هلاكه وشقائه فاحذروها

أيها الناس اليوم فآمنوا بربكم ولقائه واعملوا عملا ينجيكم من عذابه. وقوله تعالى ﴿بلى إن ربه كان به بصيرا﴾ أي ليحورن وليبعثن وليحاسبن وليس كما يظن انه لا يبعث ولا يحاسب ولا يجزى بل لابد من ذلك كله إن ربه تعالى كان به وبعمله بصيرا لايخفى عليه من أمره شيء ونتيجة لذلك تَمَّ له هذا الحساب والعقاب بِأَمَرِّ العذاب وأشدِّه دخول النار وتصلية جحيم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء ببيان مقدماته في انقلاب الكون.

٢ـ بيان حتمية لقاء الإنسان ربّه.

٣ـ كل إنسان مكلف بالعقل والبلوغ فهو عامل وكاسب لا محالة إلى أن يموت ويلقى ربه.

٤ـ أهل الإيمان والتقوى يحاسبون حسابا يسيرا وهو مجرد عرض لا غير ويفوزون أما من نوقش الحساب فقد هلك وعذب لأنه لا يملك حجة ولاعذرا.

٥ـ التنعم في الدنيا والانكباب على شهواتها وملاذها مع ترك الطاعات والصالحات ثمرة عدم الإيمان أو اليقين بالبعث والجزاء.

فَلَآ أُقْسِمُ
بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ
﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات:

بالشفق : أي بالحمرة في الأفق بعد غروب الشمس.

وما وسق : أي دخل عليه من الدواب وغيرها.

إذا اتسق : اجتمع وتم نوره وذلك في الليالي البيض.

(١) جائز أن يكون (لا) صلة أي فاقسم بالشفق وكونها نافية لكلام سابق كما في التفسير هو اختيار بن جرير.

طبقا عن طبق : أي حالا بعد حال الموت، ثم الحياة، ثم ما بعدها من أحوال القيامة.
فما لهم لا يؤمنون : أي أيُّ مانع لهم من الإيمان بالله ورسوله ولقاء ربهم والحجج كثيرة تتلى عليهم.
وإذا قرىء عليهم القرآن: أي تُلي عليهم وسمعوه.
لا يسجدون : أي لا يخضعون فيؤمنوا ويسلموا.
بما يوعون : أي يجمعون في صحفهم من الكفر والتكذيب.
لهم أجر غير ممنون : أي غير مقطوع.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿فلا أقسم﴾ أي فليس الأمر كما تدعون من أنه لا بعث ولا جزاء أقسم بالشفق وهي حمرة الأفق بعد غروب الشمس[1] والليل وما وسق أي وما جمع من كل ذي روح من سابح في الماء وطائر في السماء وسارح في الغبراء والقمر إذا اتسق أي اجتمع وتم نوره وذلك في الليالي البيض. وجواب القسم قوله تعالى لتركبن طبقا عن طبق أي حالاً[2] بعد حال الموت ثم الحياة، ثم العرض، ثم الحساب، ثم الجزاء فهي أحوال وأهوال فليس الأمر كماتتصورون من أنه موت ولا غير. وقوله تعالى ﴿فما لهم[3] لا يؤمنون وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون﴾ أي ما للناس لايؤمنون أي شيء منعهم من الإيمان بالله ورسوله والدار الآخرة مع كثرة الآيات وقوة الحجج وسطوع البراهين. وما لهم أيضا إذا تلي عليهم القرآن وسمعوه لا يخضعون ولا يخشعون ولا يخرون ساجدين مع ما يحمل من أنواع الحجج والبراهين وقوله تعالى بل الذين كفروا أي بدل أن يؤمنوا ويسلموا يكذبون[4] والله أعلم بما يوعون في قلوبهم من الكفر والتكذيب وفي نفوسهم من الحسد والكبر والغل والبغض وبناء على ذلك فبشرهم[5] يارسولنا أي اخبرهم بما يسوءهم بعذاب أليم عاجلا وآجلا إلاّ[6] الذين آمنوا أي منهم آمنوا بالله ورسوله وآيات الله ولقائه وعملوا الصالحات فأدوا الفرائض واجتنبوا

---

(١) أكثر أهل العلم على أن الشفق الحمرة بعد غروب الشمس قال الفراء سمعت بعض العرب يقول لثوب عليه مصبوغ كأنه الشفق وكان أحمر. وقال الشاعر: وأحمر اللون كمحمر الشفق.
(٢) من شواهد هذه الحقيقة قول الشاعر:
كذلك المرء إن ينسأ له أجل يركب على طبق من بعده طبق
(٣) الاستفهام للإنكار عليهم والتعجب من حالهم في ترك الإيمان.
(٤) يكذبون صيغة المضارع تدل على استمرار تكذيبهم والصلة هي الكفر. فلو آمنوا ما كذبوا ولكفرهم يكذبون رسول الله ﷺ فيما جاء به وأخبر عنه.
(٥) فبشرهم الفاء للتفريع والترتيب والبشارة هنا للتهكم بهم.
(٦) الاستثناء منقطع بمعنى لكن الذين آمنوا، الخ.

المحارم فهؤلاء لهم أجر أي ثواب عند الله إلى يوم يلقونه غير ممنون أي غير منقوص ولا مقطوع في الجنة دار السلام. اللهم اجعلنا من أهلها برحمتك ياأرحم الراحمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان أن الإنسان مقبل على أحوال وأهوال حالا بعد حال وهولا بعد هول إلى أن ينتهي إلى جنة أو نار.

٢ـ بيان أن عدم إيمان الإنسان بربه أمر يستدعي العجب إذ لا مانع للعبد من الإيمان بخالقه وهو يعلم أنه مخلوق وقد تعرف إليه فأنزل كتبه وبعث رسله وأقام الأدلة على ذلك.

٣ـ مشروعية السجود عند تلاوة هذه الآية وهي وإذا قرىء عليهم القرآن لايسجدون.

٤ـ علم الله تعالى بما يعي الإنسان في قلبه وما يحمل في نفسه فذكره للعبد بأن يراقب ربه فلا يعي في قلبه إلا الإيمان ولا يحمل في نفسه إلا الخير فلا غل ولا حسد ولا شك ولا عداء ولا بغضاء.

سُورَةُ البُرُوجِ

مكية وآياتها ثنتان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ
﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا
قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا
مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ
عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

ذات البروج : أي منازل الشمس والقمر الاثنى عشر برجا .

واليوم الموعود : أي يوم القيامة إذ وعد تالله تعالى عباده أن يجمعهم فيه لفصل القضاء .

وشاهد : أي يوم الجمعة .

ومشهود : أي يوم عرفة .

قُتل أصحاب الأخدود : أي لُعن أصحاب الأخدود .

الأخدود : أي الحفر تحفر في الأرض وهو مفرد وجمعه أخاديد .

إذ هم عليها قعود : أي على حافتها وشفيرها .

وما نقموا منهم : أي ما عابوا أي شيء سوى إيمانهم بالله تعالى .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والسماء ذات البروج﴾[1] هذا قسم من أعظم الأقسام إذ أقسم تعالى فيه بالسماء ذات البروج وهي منازل الشمس والقمر الأثنا عشر برجا،[2] وباليوم الموعود وهو يوم القيامة إذ وعد الربّ تعالى عباده أن يجمعهم فيه ليحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون وبالشاهد وهو[3] يوم الجمعة وبالمشهود وهو يوم عرفة وجواب القسم أو المقسم عليه محذوف قد يكون تقديره لتبعثن ثم لتنبؤن لأن السورة مكية والسور المكية تعالج العقيدة بأنواعها الثلاثة التوحيد والنبوّة والبعث والجزاء، وجائز أن يكون الجواب قتل بتقدير اللام وقد نحو لقد قتل أي لعن أصحاب الأخدود وهي حفر حفرها الكفار وأججوا فيها ناراً وأتوا بالمؤمنين المخالفين لدينهم وعرضوا عليهم الكفر أو الإلقاء في النار فاختاروا الإلقاء في النار مع بقاء إيمانهم حتى إن امرأة كانت ترضع صبياً فأحجمت عن إلقاء نفسها مع طفلها في النار فأنطق الله الصبي فقال لها: أماه امضي فإنك على الحق فاقتحمت النار. وقوله ﴿إذ هم عليها قعود﴾ بيان للحال التي كانوا يفتنون فيها المؤمنين والمؤمنات إذ كانوا على شفير النار وحافتها قاعدين، وقوله تعالى ﴿وهم على ما يفعلون

---

(١) روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج وروي أيضاً عنه أن النبي ﷺ أمر أن يقرأ في العشاء بالسموات أي السماء ذات البروج والسماء والطارق.

(٢) البروج هي منازل الكواكب والشمس والقمر يسير القمر في كل برج منها يومين وثلث يوم فذلك ثمانية وعشرون يوماً ثم يستتر ليلتين. وتسير الشمس في كل برج منها شهراً وهي الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، والبروج في لغة العرب القصور.

(٣) روى الترمذي عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة وقال فيه حديث حسن غريب، وجائز أن يكون الشهود الكرام الكاتبين والمشهود عليهم بنو آدم، وجائز أن يكون الشاهد هذه الأمة والشهود عليهم سائر الأمم وجائز غير ما ذكر.

بالمؤمنين﴾ من الإلقاء في النار والارتداد عن الإسلام ﴿شهود﴾ أي حضور، ولم يغيروا منكراً ولم يأمروا بمعروف. وقوله تعالى ﴿وما نقموا منهم﴾ أي وما عابوا عنهم شيئا سوى إيمانهم بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والأرض، فحسب العبد من الله هذه الصفات فإنها توجب الإيمان بالله وطاعته ومحبته وخشيته وهي كونه سبحانه وتعالى عزيزاً في انتقامه لأوليائه حميداً يحمده لآلائه ونعمه سائر خلقه مالكاً لكل ما في السموات والأرض ليس لغيره ملك في شيء معه وعلمه الذي أحاط بكل شيء دل عليه قوله وهو على كل شيء شهيد. فكيف ينكر على المؤمن إيمانه بربّه ذي الصفات العلا. والجلال والجمال والكمال. سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك. وقوله تعالى ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين[1] والمؤمنات﴾ أي فتنوهم عن دينهم فأحرقوهم بالنار ﴿ثم لم يتوبوا﴾ بعد فتنتهم للمؤمنين والمؤمنات ﴿فلهم عذاب جهنم﴾ جزاء لهم. ﴿ولهم عذاب الحريق﴾ عذاب جهنم في الدار الآخرة وعذاب الحريق في الدنيا. فقد روي أنهم لما فرغوا من إلقاء المؤمنين في النار والمؤمنون كانت تفيض أرواحهم قبل وصولهم إلى النار فلم يحسوا بعذاب النار والكافرون خرجت لهم النار من الأخاديد وأحرقتهم فذاقوا عذاب الحريق في الدنيا، وسيذوقون عذاب جهنم في الآخرة هذا بالنسبة إلى أبدانهم أما أرواحهم فإنها بمجرد مفارقة الجسد تلقى في سجين مع أرواح الشياطين والكافرين وقوله تعالى ﴿إن الذين آمنوا[2]﴾ بالله وعملوا الصالحات أي آمنوا بالله ربّا وإلهاً وعبدوه بأداء فرائضه وترك محارمه ﴿لهم جنات﴾ أي بساتين ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ أي من تحت أشجارها وقصورها. وقوله تعالى ﴿ذلك الفوز الكبير[3]﴾ حقا هو فوز كبير، لأنه نجاة من النار أولاً ودخول الجنة ثانياً. كما قال تعالى ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾.

---

(١) إن الذين فتنوا الخ. . الآية عامة ليست خاصة بأصحاب الأخدود ولا بكفار قريش، وإنما هي عامة في كل من يفتن المؤمنين والمؤمنات في دينهم

فيصرفهم عنه بأنواع من التعذيب وجزاؤهم ما ذكر في الآية وهو عذاب جهنم وعذاب الحريق إلا من تاب قبل موته وقد عد ممن فتنوا المؤمنين والمؤمنات في مكة أبو جهل رأس الفتنة وأمية بين خلف والأسود بن عبد يغوث والوليد بن المغيرة وعد من المعذبين المفتونين بلال بن رباح، وأبو فكيهة وخباب بن الأرت وياسر والد عمار وعامر بن فهيرة وعدد من النساء المعذبات حمامة أم بلال، وزنيرة، وسمية والدة عمار.

(٢) هذا الكلام مستأنف يبين فيه تعالى جزاء من آمن وعمل صالحاً وهو دعوة إلى الإيمان والعمل الصالح والتخلي عن الشرك والشر والفساد. إنه لما ذكر جزاء الكفر وهو عذاب جهنم وعذاب الحريق ناسب ذكر جزاء أهل الإيمان وصالح الأعمال.

(٣) اسم الإشارة (ذلك) عائد إلى ما اختصهم الله تعالى به من الجنات التي تجري من تحتها الأنهار أنهار الماء واللبن والخمر والعسل في دار السلام.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء .

٢ـ فضل يومي الجمعة وعرفة .

٣ـ بيان ما يُبتلى به المؤمنون في هذه الحياة ويصبرون فيكون جزاؤهم الجنة .

٤ـ الترهيب والترغيب في ذكر جزاء الكافرين والمؤمنين الصالحين .

إِنَّ بَطْشَ
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾
ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ
﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن
وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

إن بطش ربك : أي أخذه أذا أخذ الكافر شديد .

يبدىء ويعيد : أي يبدىء الخلق ويعيده بعد فنائه ويبدىء العذاب ويعيده .

الغفور الودود : أي لذنوب عباده المؤمنين المتودد لأوليائه .

ذو العرش المجيد : أي صاحب العرش إذ هو خالقه ومالكه والمجيد المستحق لكمال صفات العلو.

في تكذيب : أي بما ذكر في سياق الآيات السابقة .

من ورائهم محيط : أي هم في قبضته وتحت سلطانه وقهره .

قرآن مجيد : أي كريم عظيم .

في لوح محفوظ : أي من الشياطين والمراد به اللوح المحفوظ .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى ما توعد به الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات من أجل إيمانهم أخبر رسوله معرضا بمشركي قومه وطغاتهم الذين آذوا المؤمنين في مكة من أجل إيمانهم أخبره بقوله ﴿إن بطش ربك لشديد﴾[1] أي إن أخذه إذا بطش أخذه أليم شديد ودلل على ذلك بقوله ﴿إنه هو يبدىء ويعيد﴾ فالقادرعلى البدء والإعادة بطشه شديد. وقوله ﴿يبدىء﴾[2] أي الخلق ثم يعيده. ويبدىء العذاب أيضا ثم يعيده ﴿وهو الغفور الودود﴾ فهو قادر على البطش بأعدائه، وهو الغفور لذنوب أوليائه ﴿ذو العـرش المجيد﴾ أي صاحب العرش خلقا وملكا المجيد العظيم الكريم، ﴿فعال لما يريد﴾[3] إذ لا يُكره تعالى على شيء ولا يقدر أحد على إكراهه.

وقوله تعالى ﴿هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود﴾ كيف أهلكهم الله لما طغوا وبغوا وكفروا وعصوا نعم قد أتاك وقرأته عن قومك الكافرين ولم ينتفعوا به لأنهم يعيشون في تكذيب لك يحيط بهم لا يخرجون منه لأنه تكذيب ناشىء من الكبر والحسد والجهل فلذا هم لم يؤمنوا بعد. وقوله تعالى ﴿والله من ورائهم محيط﴾[4] أي هم في قبضته وتحت قهره وسلطانه لايخفى عليه منهم شيء ولا يحول بينه وبينهم متى أراد أخذهم شيء. وقوله تعالى ﴿بل هو[5] قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾[6] يرد بهذا على المشركين الذين قالوا في القرآن إنه سحر وشعر وأساطير الأولين فقال ليس هو كما قالوا وادّعوا وإنما هو قرآن مجيد في لوح محفوظ من الشياطين فلا تمسه ولا تقربه ولا من غير الشياطين من سائر الخلق أجمعين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ تهديد الظلمة بالعذاب عقوبة في الدنيا وفي الآخرة.

---

(١) يرى بعضهم أن قوله إن بطش ربك هو جواب القسم والسماء ذات البروج. وأنه وإن كان جائزاً فإن تقديره في أول الكلام أولى من تأخيره. وهذه الآية مستأنفة تحمل الوعيد والتعريض بمجرمي قريش كأبي جهل وأضرابه.

(٢) إنه هو يبدىء ويعيد الجملة تعليلية إذ الذي يبدي ويعيد لا يكون بطشه إلا قوياً شديداً ومن مظاهر الكمال الألهي جمعه بين صفتي البطش، والمغفرة والود، فهنيئا لأوليائه، ويا ويل أعدائه.

(٣) روي ان أناساً دخلوا على أبي بكر في مرضه الذي مات فيه يعودونه فقالوا له ألا نأتيك بطبيب؟ قال قد رآني قالوا فما قال لك؟ قال قال لي: إني فعال لما أريد وفي بعض الروايات قال الطبيب أمرضني.

(٤) فهو قادر على أن ينزل بهم ما أنزل بفرعون، وعاد وثمود قبله.

(٥) بل للإضراب الإبطالي أي ليس القرآن كما يصفونه بأنه أساطير الأولين، وإفك مفترى وما إلى ذلك مما قالوه في القرآن من رده وعدم الإيمان به بل هو قرآن مجيد بالغ الغاية في المجد والشرف والسمو والعلو في ألفاظه ومعانيه، وما يحمل من هدى وتشريع وأنه في مناعته لا تصل إليه أيدي الخلق بالتحريف والتبديل إذ هو في لوح محفوظ.

(٦) قرأ نافع وحده برفع محفوظ صفة القرآن وجره الباقون حفص وغيره على انه نعت للفظ لوح وحفظ اللوح حفظ للقرآن المكتوب عليه.

٢ـ إن الله تعالى لكرمه يتودد لأوليائه من عباده.

٣ـ فائدة القصص هي الموعظة تحصل للعبد فلا يترك واجباً ولا يغشى محرما.

٤ـ بيان إحاطة الله تعالى بعباده وأنهم في قبضته وتحت سلطانه.

٥ـ شرف القرآن الكريم، وإثبات اللوح المحفوظ وتقريره.

سُورَةُ الطَّارِقِ

مكية وآياتها سبع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ
نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ
دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾
يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾
وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ
يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

شرح الكلمات:

والطارق : أي كل ما يطرق ويأتي ليلا وسمي النجم طارقا لطلوعه ليلا.

النجم الثاقب : أي الثريّا والثاقب المضيء الذي يثقب الظلام بنوره.

لما عليها حافظ : أي إلاّ عليها حافظ من الملائكة يحفظ عملها.

خلق من ماء دافق : أي ماء ذي اندفاق وهو بمعنى مدفوق أي مصبوب في الرحم.

من بين الصلب والترائب : الصلب: عظم الظهر من الرجل، والترائب عظام الصدر والواحدة تريبة.

يوم تُبلى السرائر : أي تختبر ضمائر القلوب في العقائد والنيات. والسرائر جمع سريرة كالسّرّ.

ذات الرجع	: أي ذات المطر لرجوعه كل حين والرجع من أسماء المطر.
ذات الصدع	: أي التصدع والتشقق بالنبات.
لقول فصل	: أي يفصل بين الباطل وفي الخصومات يقطعها بالحكم الجازم.
وما هو بالهزل	: أي باللعب والباطل بل هو الجد كل الجد.
يكيدون كيداً	: أي يعملون المكائد للنبي ﷺ.
وأكيد كيدا	: أي أستدرجهم من حيث لا يعلمون لأوقعهم في المكروه.
أمهلهم رويدا	: أي زمنا قليلا وقد أخذهم في بدر.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿والسماء والطارق﴾[1] هذا قسم إلهي حيث أقسم تعالى بالسماء والطارق ولما كان لفظ الطارق يشمل كل طارق آت بليل، وأراد طارقاً معينا فخم من شأنه بالاستفهام عنه الدال على تهويله فقال ﴿وما أدراك ما الطارق﴾[2] ثم بيّنه بقوله ﴿النجم الثاقب﴾ وكل نجم هو ثاقب للظلام بضوئه. والمراد به هنا الثريّا لتعارف العرب على إطلاق النجم على الثريا. هذا هو القسم والمقسم عليه هو قوله تعالى ﴿إن كل نفس[3] لما عليها حافظ﴾[4] وهنا قراءتان سبعيتان الأولى بتخفيف ميم لما وحينئذ تصبح زائدة لتقوية الكلام لا غير واللام للفرق بين إن النافية والمؤكدة الداخلة على الأسم وهو هنا ضمير شأن محذوف والتقدير أنه أي الحال والشأن كل نفس عليها حافظ. والثانية بتشديد لمّا وحينئذ تكون إن نافية بمعنى ما ولما بمعنى إلاّ ويصير الكلام هكذا. ما كل نفس إلاّ عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويُحصي عليها ما تكسب من خير وشر. وقوله تعالى ﴿فلينظر الإنسان﴾[5] أي الكافر المكذب بالبعث والجزاء ﴿مم خُلق﴾ أي من أي شيء خلق. وبين تعالى مما خلقه بقوله ﴿خُلق من ماء[6] دافق﴾ أي ذي اندفاق وهو المنيّ يصب في الرحم يخرج من بين الصلب والترائب أي يخرج الماء من صلب الرجل وهو عظام ظهره وترائب المرأة وهي محل القلادة من صدرها، وقد اختلف في تقدير فهم هذا الخبر عن الله تعالى وجاء

---

(١) قال العلماء افتتاح السورة بالقسيم تحقيق لما يقسم عليه وتشويق اليه.

(٢) وما أدراك استفهام المراد منه تهويل الأمر وتعظيمه.

(٣) الإخبار بأن كل نفس عليها حافظ يحفظ أعمالها لتحاسب عليها وتجزى بها إثبات للبعث الآخر بطريق الكناية.

(٤) قرأ نافع بتخفيف الميم من لما وشددها حفص.

(٥) الفاء للتفريع إذ الجملة متفرعة عن قوله إن كل نفس لما عليها حافظ إن شك الإنسان في حقيقة البعث فلينظر في أصل نشأته وجائز أن تكون الفاء الفصيحة.

(٦) هذا جواب الاستفهام (مم خلق) إذ من ابتدائية وما استفهامية وحذف ألفها تخفيفا لتقدم حرف الجر عليها نحو عمّ؟ ولم؟ والجار والمجرور متعلق بخلق بعده والإنسان منكر البعث.

العلم الحديث فشرح الموضوع وأثبت أن ماء الرجل يخرج حقا مما ذكر الله تعالى في هذه الآية وأن ماء المرأة كذلك يخرج مما وصف عز وجل وصدق الله العظيم. وقوله تعالى ﴿إنه على رجعه[1] لقادر﴾ أي الذي خلقه مما ذكر من ماء دافق فجعله بشراً سوياً ثم أماته بعد أن كان حياً قادر على إرجاعه حياً كما كان وأعظم مما كان. وذلك يوم[2] تبلى السرائر أي تختبر[3] الضمائر وتكشف الأسرار وتعرف العقائد والنيات الصالحة من الفاسدة والسليمة من المعيبة ويومها ﴿فما له من قوة ولا ناصر﴾ ليس لهذا الكافر والمكذب بالبعث والحياة الثانية ماله قوة يدفع بها عن نفسه عذاب ربّه ولا ناصر ينصره فيخلصه من العذاب. وقوله تعالى ﴿والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع﴾ أقسم تعالى بالسماء ذات السحب والغيوم والأمطار، والأرض ذات التشقق عن النباتات والزروع المختلفة على أن القرآن الكريم قول فصل وحكم عدل في كل مختلف فيه من الحق والباطل فما أخبر به وحكم فيه من أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها هو الحق الذي لا مرية فيه والصدق الذي لا كذب معه وقوله تعالى وما هو بالهزل أي وليس القرآن باللعب الباطل بل هو الحق من الله الذي لا باطل معه. وقوله تعالى ﴿إنهم يكيدون كيداً﴾ أي إن كفار قريش يمكرون بالنبي محمد ﷺ وبدعوته مكرا ويكيدون لهماكيدا. وقوله ﴿وأكيد كيدا﴾ أي وأنا أمكر بهم أكيد لهم كيدا فمن يغلب مكره وكيده الخالق المالك أم المخلوق المملوك؟ فمهل الكافرين يارسولنا أمهلهم قليلا، فقد كتبنا في كتاب عندنا ﴿لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾ وقد أنجز الله وعده لرسوله والمؤمنين فلم يمض إلاّ سنيات قلائل، ولم يبق في مكة من سلطان إلا الله، ولا من معبود يعبد إلا الله.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير المعاد والبعث والجزاء. ٢- تقرير أن أعمال العباد محصية محفوظة وأن الحساب يجري بحسبها. ٣- بيان مادة تكوين الإنسان ومصدر تكوين تلك المادة.

٤- التحذير من إسرار الشر وإخفاء الباطل، وإظهار خلاف ما في الضمائر، فإن الله تعالى عليم بذلك، وسيختبر عباده في كل ما يسرون ويخفون.

---

(١) جائز أن يكون على رجعه ماءً في الصلب كما كان قادراً إلا أن ما في التفسير أولى بقرينة يوم تبلى السرائر وذلك يوم القيامة الذي هو يوم البعث.

(٢) تبلى تختبر وتمتحن لإظهار ما كان مستوراً مخبوءاً فيها من كفر وإيمان وخير وشر. ورد عن السلف أن الوضوء والغسل والصلاة والصيام والزكاة من السرائر، وأن حيض المرأة وحملها من السرائر إذ في إمكانها إخفاءه وإظهاره.

(٣) السرائر جمع سريرة وهي ما يسر العبد ويخفيه في نفسه. وما يستره من أعماله. قال الأحوص:

سيبقى لها في مضمر القلب والحشاء سريرة ودٍ يوم تبلى السرائر

٥ـ إثبات أن القرآن قول فصل ليس فيه من الباطل شيء وقد تأكد هذا بمرور الزمان فقد صدقت أنباؤه ونجحت في تحقيق الأمن والاستقرار أحكامه.

سُورَةُ الأَعْلَىٰ

مكيـة وآياتها تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ
﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ
فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ
لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾
وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات:

سبح اسم ربك : أي نزه اسم ربك أن يُسمى به غيره وأن يذكر بسخرية أو لعب أي لا يذكر إلا باجلال واكبار ونزه ربك عما لا يليق به من الشرك والصاحبة والولد والشبيه والنظير.

الأعلى : أي فوق كل شيء والقاهر لكل شيء.

الذي خلق فسوى : أي الإنسان فسوى أعضاءه بأن جعلها متناسبة غير متفاوتة.

والذي قدر فهدى : أي قدر ما شاء لمن شاء وهداه إلى إتيان ما قدره له وعليه.

والذي أخرج المرعى : أي أنبت العشب والكلأ.

فجعله غثاء أحوى : أي بعد الخضرة والنضرة هشيما يابسا أسود.

سنقرئك فلا تنسى : أي القرآن فلا تنساه بإذننا.

إلا ما شاء الله : أي إلا ما شئنا أن ننسيكه فإنك تنساه وذلك إذا أراد الله تعالى نسخ شيء من القرآن بلفظه فإنه يُنسي فيه رسوله ﷺ.

ونيسرك لليسرى : أي للشريعة السهلة وهي الإسلام.
فذكر إن نفعت الذكرى: أي من تذكر أو لم تنفع ومعنى ذكر عظ بالقرآن.
ويتجنبها : أي الذكرى أي يتركها جانبا فلا يلتفت إليها.
الأشقى : أي الكافر الذي كتبت شقاوته أزلا.
يصلى النار الكبرى : أي نار الدار الآخرة.
لايموت فيها ولا يحيا: أي لا يموت فيستريح، ولا يحيا فيهنأ.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾[1] هذا أمر من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ وأمته تابعة له بأن ينزه اسمَ[2] ربّه عن أن يسمى به غيره، أو أن يذكر في مكان قذر، أو أن يذكر بعدم اجلال واحترام، والأعلى صفة للربّ تبارك وتعالى دالة على علوه على خلقه فالخلق كله تحته وهو قاهر له وحاكم فيه. الذي خلق فسوى أي أوجد من العدم المخلوقات وسوى خلقها كل مخلوق بحسب ذاته فعدل أجزاءه وسوى بينها فلا تفاوت فيها ﴿والذي قدر فهدى﴾ أي قدر الأشياء في كتاب المقادير من خير وغيره وهدى كل مخلوق إلى ما قدره له أو عليه فهو طالب له حتى يدركه في زمانه ومكانه وعلى الصورة التى قدر عليها ﴿والذي أخرج المرعى﴾ أي ما ترعاه البهائم من الحشيش والعشب والكلأ. ﴿فجعله غثاء أحوى﴾[3] أي فجعله بعد الخضرة والنضرة هشيما متفرقا يابسا بين سواد وبياض وهي الحوّة هذه خمس آيات الآية الأولى تضمنت الأمر بتنزيه اسم الله، والأربع بعدها في التعريف به سبحانه وتعالى حتى يعظم اسمه وتعظم ذاته وتنزه عن الشريك والصاحبة والولد. وقوله تعالى ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ هذه عِدَةٌ من الله تعالى لرسوله. لعل سببها أنه كان ﷺ إذا جاءه جبريل بالآيات يخاف نسيانها فيستعجل قراءتها قبل فراغ جبريل عليه السلام من إملائها عليه فيحصل له بذلك شدة فطمأنه ربّه أنه لاينسى ما يقرئه جبريل ﴿إلا ما شاء الله﴾[4] أن ينسيه إياه لحكمة اقتضت ذلك فإنه ينساه فقد كان ﷺ ينسى وذلك لما أراد الله أن ينسخه من كلامه.

(١) روي في السنن لما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى) قال رسول الله ﷺ اجعلوها في سجودكم. فكانوا يقولون في سجودهم سبحان ربي الأعلى ثلاثاً فأكثر.

(٢) إنّ تنزيه الاسم مستلزم لتنزيه المسمى، فلذا لا حاجة إلى القول بأن اسم صلة قصد بها تعظيم المسمى. استشهاداً بقول لبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما   فتنزيه اسم الله وتقديسه مطلوب

بل من أسمى المطالب، وتنزيه الله تعالى يكون بنفي الشريك عنه والولد ونفي كل نقص عنه قولا واعتقاداً وما يقرر أن تنزيه الاسم مستلزم لتنزيه المسمى قول الرسول ﷺ اجعلوها في سجودكم. لأنها دالة على تنزيه الرب تعالى وتعظيمه.

(٣) الأحوى: الموصوف بالحوة وهي لون من الألوان سمرة تقرب من السواد، وأحوى صفة لغثاء الذي هو اليابس من النبات.

(٤) الاستثناء مفرغ أي إلا الذي شاء الله أن تنساه فإنك تنساه.

وقوله تعالى ﴿إنه يعلم الجهر وما يخفى﴾ هذه الجملة تعليلية لقدرة الله تعالى على أن يحفظ على رسوله القرآن فلا ينساه ومعنى يعلم الجهر وما يخفى أي أن الله تعالى يعلم ما يجهر به المرء من قراءة أو حديث وما يخفيه الكل يعلمه الله بخلاف عباده فإنهم لا يعلمون ما يخفى عليهم ويُسرٌ به وقوله تعالى و﴿نيسرك لليسرى﴾ أي للطريقة السهلة الخالية من الحرج وهي الشريعة الإسلامية التي بنيت على أساس أن لا حرج في الدين (وما جعل عليكم في الدين من حرج وقوله تعالى ﴿فذكر إن نفعت الذكرى﴾[1] من آيسناك من إيمانهم أو لم تنفع . لأنه ﷺ مأمور بالبلاغ فيبلغ الكافر والمؤمن ويذكر الكافر والمؤمن . والأمر بعد لله. وقوله تعالى ﴿سيذكر من يخشى﴾ أي سيذكر ويتعظ من يخشى عقاب الله لإيمانه به ومعرفته له ﴿ويتجنبها﴾ أي الذكرى ﴿الأشقى﴾ أي أشقى الفريقين فريق من يتذكر وفريق من لا يتذكر ﴿الذي يصلى النار الكبرى﴾ أي يدخل النار الكبرى نار يوم القيامة ﴿ثم لايموت فيها﴾ من جراء عذابها فيستريح ﴿ولا يحيا﴾[2] فيهنأ ويسعد إذ الشقاء لازمه . وهذه حال أهل النار ونعوذ بالله من حال أهل النار.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ وجوب تسبيح اسم الله وتنزيهه عما لا يليق به كوجوب تنزيه ذات الله تعالى عن كل مالا يليق بجلاله وكماله .

٢ـ مشروعية قول سبحان ربّي الأعلى عند قراءة هذه الآية سبح اسم ربك الأعلى .

٣ـ وجوب التسبيح بها في السجود في كل سجدة من الصلاة سبحان ربي الأعلى ثلاثا فأكثر.

٤ـ مشروعية قراءة هذه السورة في الوتر فيقرأ في الركعة الأولى بالفاتحة والأعلى وفي الثانية بالفاتحة والكافرون ، وفي ركعة الوتر بالفاتحة والصمد أو الصمد والمعوذتين .

٥ـ أحب الرسول ﷺ سورة الأعلى لأنها سورة ربّه وأن ربّه بشره فيها بشارتين عظيمتين الأولى انه يُيسره لليسرى، ومن ثم ما خُير رسول الله ﷺ بين شيئين إلا اختار أيسرهما والثانية أنه حفظه من النسيان بأن جعله لا ينسى . ولذا كان يُصلي بهذه السورة الجمع والأعياد والوتر في كل ليلة فصلى الله عليه وسلم .

---

(١) في الجملة تعريض بأن بين كفار قريش من لم تنفعهم الذكرى، ومع هذا فالتذكير متعين للجميع إقامة للحجة .

(٢) قوله ولا يحيا في الجملة احتراس مما قد يظن انه ما دام الجهنمي أنه لا يموت فسوف يحيى حياة عادية لا عذاب فيها فرفع هذا التوهم بهذه الجملة (ولا يحيى) أي حياة راحة من العذاب كما قال القائل :

ألا ما لنفس لا تموت فينقضي عناها ولا تحيا حياة لها طعم

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾
بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ
هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

شرح الكلمات :

أفلح : أي فاز بأن نجا من النار، ودخل الجنة.

من تزكى : أي تطهر بالإيمان وصالح الأعمال بعد التخلي عن الشرك والمعاصي.

وذكر اسم ربه : أي في كل أحايينه عند الأكل وعند الشرب وعند النوم وعند الهبوب منه وفي الصلاة وخارج الصلاة من تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير.

فصلى : أي الصلوات الخمس والنوافل من رواتب وغيرها.

تؤثرون : أي تقدمون وتفضلون الدنيا على الآخرة.

إن هذا لفي الصحف الأولى : أي إن هذا وهو قوله قد أفلح إلى قوله وأبقى.

صحف ابراهيم : إذ كانت عشر صحف.

وموسى : أي توراته.

معنى الآيات :

قوله تعالى قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربّه فصلى يخبر تعالى بفلاح عبد مؤمن زكى[1] نفسه أي طهرها بالإيمان وصالح الأعمال، وذكر اسم ربّه على كل أحايينه عند القيام من النوم عند الوضوء بعد الوضوء في الصلاة وبعد الصلاة وعند الأكل والشرب وعند اللباس فلا يخلو من ذكر الله ساعة فصّلى الصلوات الخمس وصلى النوافل. ومعنى الفلاح الفوز والفوز هو النجاة من المرهوب والظفر بالمرغوب المحبوب. والمراد منه في الآية النجاة من النار ودخول الجنة لآية آل عمران ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾. وقوله تعالى ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾ أيها الناس أي تفضلونها على الآخرة فتعملون لها وتنسون الآخرة فلا تقدمون لها شيئا.

(١) قوله تزكى فيه معنى المعالجة وهي انه عمل على تزكية نفسه بإبعادها عما يخبثها من الشرك والآثام، ثم بتحليتها بالعبادات المزكية لها وهي الإيمان وصالح الأعمال.

هذا هو طبعكم أيها الناس إلا من ذكر الله فصلى بعد أن آمن واهتدى في حين أن الآخرة خير من الدنيا وأبقى خير نوعاً وأبقى مـدة حتـى قال الحكماء[1] لو كانت الدنيا من ذهب والآخرة من خزف . . طين لاختار العاقل ما يبقى على ما يفنى ، لأن الدنيا فانية والآخرة باقية وقوله تعالى ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى﴾ أي إن قوله تعالى قد أفلح من تزكى إلى قوله خير وأبقى مذكور في كل من صحف ابراهيم وكانت له عشر صحف ولموسى[2] ، التوراة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ الترغيب في الزكاة والذكر والصلاة ، ويحصل هذا للمسلم كل عيد فطر إذ يخرج زكاة الفطر أولا ثم يأتي المسجد يكبر، ثم يصلي حتى أن بعضهم يرى أن هذه الآية نزلت في ذلك .

٢ـ التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة لفناء الدنيا وبقاء الآخرة .

٣ـ توافق الكتب السماوية دليل أنها وحي الله وكتبه أنزلها على رسله عليهم السلام .

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

مكية وآياتها ست وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾
عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾
لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾
لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾
وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾

---

(١) قال مالك بن دينار ونص كلمته كالتالي : لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان الواجب أن يؤثر خزف يبقى على ذهب يفنى . قال فكيف والآخرة من ذهب يبقى والدنيا من خزف يفنى؟

(٢) لقد كان لموسى صحف كثيرة إذ هي مجموع صحف أسفار التوراة والصحف جمع صحيفة على غير قياس إذ القياس صحائف وصار صحف أشهر وأفصح من صحائف كما قالوا في جمع سفينة سفن فكان أفصح من سفائن .

شرح الكلمات:

هل أتاك : أي قد جاءك.
الغاشية : أي القيامة وسميت الغاشية لأنها تغشى الناس بأهوالها.
وجوه يومئذ : أي يوم إذ تقوم الساعة.
خاشعة : أي ذليلة أطلق الوجوه وأراد أصحابها.
عاملة ناصبة : أي ذات نصب وتعب بالسلاسل والأغلال وتكليف شاق الأعمال.
تصلىٰ نارا حامية : ترد هذه الوجوه ناراً حامية قد اشتدت حرارتها.
تسقى من عين آنية : أي بلغت أناها من الحرارة يقال أني الحميم إذا بلغ منتهاه.
إلا من ضريع : أي أخبث طعام وأنتنه، وضريع الدنيا نبت يقال له الشبرق لا ترعاه الدواب لخبثه.
وجوه يومئذ ناعمة : أي حسنة نضرة.
لسعيها راضية : أي لعملها الصالحات في الدنيا راضية في الآخرة لما رأت من ثوابها.
لاغية : أي كلمة لاغية من اللغو والباطل.
وأكواب : أقداح لا عُرا لها موضوعة على حافة العين للشرب.
ونمارق مصفوفة : أي ومساند جمع نمرقة مصفوفة الواحدة إلى جنب الأخرى للاستناد إليها.
وزرابي مبثوثة : أي بسط وطنافس لها خمل ومالا خمل لها يسمى سجادة ومعنى مبثوثة مفروشة هنا وهناك مبسوطة.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿هل أتاك[1] حديث الغاشية[2]﴾ هذا خطاب من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ يقول له فيه هل أتاك نبأ الغاشية وخبرها العظيم وحديثها المهيل المخيف إن لم يكن أتاك فقد أتاك الآن إنه حديث القيامة التي تغشي الناس بأهوالها وصعوبة مواقفها واشتداد أحوالها وإليك عرضاً سريعاً لبعض ما يجري فيها: ﴿وجوه يومئذ[3]﴾ تغشاهم الغاشية ﴿خاشعة﴾ ذليلة ﴿ناصبة﴾ أي

---

(١) افتتح تعالى هذه السورة بالاستفهام بهل المفيد لمعنى قد التي هي للتحقيق من أجل التشويق إلى ما يخبر به لما فيه من العلم والمعرفة وما يحوي من موعظة كبرى.
(٢) الغاشية: القيامة علم لها بالغلبة واشتق لها هذا الاسم من الغشيان الذي هو التغطية إذ هي تغطي الناس بأهوالها وتذهل عقولهم وتغطيها.
(٣) هذه الجملة بيان لجملة حديث الغاشية بينها بذكر أحوالها وأهوالها إذ المقصود العبرة وتقرير البعث الذي أنكره المشركون وذكر الوجوه كناية عن أصحابها إذ يطلق الوجه ويراد به الذات.

ذات نصب وتعب من جرّ السلاسل والأغلال، وتكليف أشق الأعمال ﴿تصلى نارا حامية﴾ أي ترد ناراً ﴿تسقى﴾ أي فيها ﴿من عين آنية﴾ قد بلغت أناها وانتهت إلى غايتها في حرارتها هذا هو الشراب أما الطعام فإنه ليس لهم طعام إلا من ضريع[1] قبيح اللون خبيث الطعم منتن الريح، ﴿لايسمن﴾ آكله ولا يغنيه من جوع. هذه حال من كفر وفجر كفر بالله وبآياته ولقائه ورسوله، أو فجر عن طاعة الله ورسوله فترك الفرائض وغشي المحارم هذه وجوه ووجوه[2] يومئذ ناعمة أي نضرة حسنة فإنها لسعيها راضية أي لسعيها في الدنيا وهو إيمانها وصبرها إيمانها وجهادها إيمانها وتقواها إيمانها وعملها الصالح أصحاب هذه الوجوه راضون بأعمالهم لما رأوا من ثوابها والجزاء عليها.

إنهم أدخلوا في جنة عالية لا يقادر علاها، لا تسمع[3] فيها لاغية أي كلمة باطلة تنغص سعادتهم ولا كلمة نابية تقلق راحتهم. فيها عين جارية من غير أخدود حفر لها، فيها سرر مرفوعة قدراً وحالاً ومكاناً، وأكواب أقداح لا عرا لها من ذهب وفضة موضوعة لشربهم إن شاءوا شربوا بأيديهم أو ناولتهم غلمانهم، ذاك لون من الشراب أما الفراش فإنها سرر مرفوعة، ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة، وسائد قد صفت للراحة والاتكاء الواحدة إلى جنب الأخرى طنافس ذات خمائل مبثوثة مفروشة هنا وهناك مبسوطة. هذه لمحة خاطفة عن الدار الآخرة تعتبر ذكرى للذاكرين وعظة للمتقين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر عرض سريع لها.

٢ـ من أسماء القيامة الغاشية لأنها تغشى الناس بأهوالها.

٣ـ بيان أن في النار نصباً وتعباً. على عكس الجنة فإنها لا نصب فيها ولا تعب.

٤ـ من مؤلمات النفس البشرية لغو الكلام وكذبه باطله وهو ما ينزه عنه المؤمنون أنفسهم.

---

(١) الضريع هو يابس ثمر الشبرق بكسر الشين وإسكان الباء وكسر الراء وهو نبت ذو شوك فإذا يبس يقال له ضريع ويصير مسموماً أي فيه مادة السم القاتلة هذا طعام أهل النار وجائز أن يكون الضريع شجر في النار ينتج عنه عصير الغسلين.

(٢) وجوه يومئذ ناعمة. هذه الجملة غير معطوفة على الوجوه الأولى، لأن المقصود من الكلام هو بيان القيامة وما يكون فيها من عذاب وشقاء للمكذبين بها. فلما تم الحديث عنها قد يتشوق السامع إلى معرفة حال المؤمنين بها فأجيب بقوله وجوه يومئذ ناعمة الخ. . فهو استئناف بياني.

(٣) قرأ نافع لا تسمع بالبناء للمجهول ولاغية نائب فاعل وقرأ حفص لا تسمع بالبناء للفاعل ولاغية مفعول به.

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ
رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ
سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم
بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات:

أفلا ينظرون	: أي أينكرون البعث فلا ينظرون نظر اعتبار.
إلى الإبل كيف خلقت	: أي خلقا بديعا معدولا به عن سنن سائر المخلوقات.
وإلى السماء كيف رفعت	: أي فوق الأرض بلا عمد ولا مستند.
وإلى الجبال كيف نصبت	: أي على وجه الأرض نصباً ثابتا لا يتزلزل.
وإلى الأرض كيف سطحت	: أي بسطت.
فذكر	: أي ذكرهم بنعم الله ودلائل توحيده.
بمسيطر	: أي بمسلط.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿أفلا ينظرون﴾[1] أي أينكرون البعث والجزاء وما أعد الله لأوليائه من النعيم المقيم وما أعد لأعدائه من عذاب الجحيم. أفلا ينظرون نظرة اعتبار إلى الإبل كيف خلقت[2]، وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت فهل خلق الإبل على تلك الصورة العجيبة وذاك التسخير لها وما فيها من منافع إذ يشرب لبنها ويركب ظهرها ويؤكل لحمها لا يدل على قدرة الخالق على إحياء الموتى وهل خلق السماء بكواكبها وشمسها وقمرها ثم رفعها بغير عمد يدعمها ولا سند يسندها لا يدل على قدرة الله على بعث الموتى أحياء ليحاسبهم ويجزيهم، وهل نصب الجبال بعد خلق ترابها وإيجاد صخورها لا يدل على قدرة الله خالقها

(١) هذا الكلام متفرع عما سبقه إذ إنكار المشركين للبعث والجزاء وللتوحيد الناتج عن جهلهم وغفلتهم وعدم تفكرهم فلذا استحثهم على النظر والتفكر موبخاً لهم على ترك ذلك.

(٢) كيف خلقت بدل اشتمال من الإبل، وكيف في محل نصب على الحال والعامل فيه ما ذكر بعدها وأما وإلى السماء وما بعدها فإنها معطوفات على جملة إلى الإبل واعراب كيف واحد والإبل اسم جمع للبعران لا مفرد لها من لفظه.

على بعث الرمم وإحياء الأجساد البالية كيف شاء ومتى شاء وهل خلق الأرض بكل ما فيها ثم بسطها وتسطيحها للحياة عليها والسير فوقها وتعميرها بأنواع العمران لا يدل على قدرة الله على البعث والجزاء. فما للقوم لاينظرون ولا يفكرون[1] وقوله تعالى ﴿فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر﴾ بعد لفت أنظار المشركين إلى ما لو نظروا إليه وتفكروا فيه لاهتدوا إلى الحق وعرفوا أن الخالق لكل شيء لا يعجزه بعث عباده ولاجزاؤهم. أمر رسوله أن يقوم بالمهمة التي أنيطت به وهي التذكير دون الهداية التي هي لله وحده دون سواه فقال له ﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾ أي ذكر بمظاهر قدرتنا وآياتنا في الآفاق وآلائنا على العباد إنما أنت مذكر ليس غير. وقوله ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ أي بمتسلط تجبرهم على الإيمان والاستقامة وقوله ﴿إلا من[2] تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر﴾ أي لكن من تولى عن الإيمان فكفر بآياتنا ورسولنا ولقائنا فيعذبه الله العذاب الأكبر وهو عذاب الآخرة. وقوله تعالى ﴿إن إلينا إيابهم﴾ أي رجوعهم إلينا لا إلى غيرنا. ﴿ثم إن علينا﴾ لا على غيرنا ﴿حسابهم﴾ ومن ثم سوف نجزيهم الجزاء اللائق بهم، ولذا فلا يضرك يارسولنا إعراضهم ولا توليهم. وحسبك تذكيرهم فمن اهتدى نجا ونجاته لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها إذ عاقبة ضلاله وهي الخسران التام عائدة عليه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير البعث والجزاء بالدعوة إلى النظر إلى الأدلة الموجبة للإيمان به.

٢ـ بيان أن الداعي إلى الله تعالى مهمته الدعوة دون هداية القلوب فإنها إلى الله تعالى وحده.

٣ـ بيان أن مصير البشرية إلى الله تعالى وهي حال تقتضي الإيمان به تعالى وطاعته طلبا للنجاة من عذابه والفوز برحمته. وهو مطلب كل عاقل لو أن الناس يفكرون.

(١) من مظاهر رحمة الله ولطفه بعباده أن يوجه عباده إلى سبيل هدايتهم توجيها خاليا من العناء والمشقة فالعربي يركب بعيره في طريقه إلى حاجته فينظر إليه وهو راكبه وينظر إلى السماء فوقه وإلى الجبال حواليه وإلى الأرض تحت قدميه فيسأل أليس القادر على خلق هذا قادراً على البعث؟ فيجيب نفسه بلى إنه قادر.

(٢) روي أن علياً أتى بمرتد عن الإسلام فاستتابه ثلاثة أيام فلم يتب وأصر على الردة فضرب عنقه وقرأ (إلا من تولى وكفر).

سُورَةُ الفَجْرِ

مكيـة وآياتها ثلاثون آيـة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ
﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ
﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾
وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾
الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ
عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات:

والفجر : أي فجر كل يوم.

وليال عشر : أي عشر ذي الحجة.

والشفع والوتر : أي الزوج والفرد.

والليل إذا يسر : أي مقبلا أو مدبراً.

لذي حجر : أي حجى وعقل.

بعاد إرم هي عاد الأولى.

ذات العماد : إذ كان طول الرجل منهم اثنى عشر ذراعاً.

جابوا الصخر بالواد : أي قطعوا الصخر جعلوا من الصخور بيوتا بوادي القرى.

ذي الأوتاد : أي صاحب الأوتاد وهي أربعة أوتاد يشدُّ إليها يدي ورجلي من يعذبه.

طغوا في البلاد : أي تجبروا فيها وظلموا العباد وأكثروا فيها الفساد.

فأكثروا فيها الفساد : أي الشرك والقتل.

سوط عذاب : أي نوع عذاب.

لبالمرصاد : أي يرصد أعمال العباد ليجزيهم عليها.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والفجر وليال عشر والشفع والوتر[1] والليل إذا يسر﴾ هذه أربعة أشياء قد أقسم الله تعالى بها وهي الفجر وفي كل يوم فجر وجائز أن يكون قد أراد تعالى فجر يوم معين وجائز أن يريد فجر كل يوم ، وليال عشر وهي العشر الأول من شهر الحجة وفيها عرفة والأضحى وقد أشاد بها رسول الله ﷺ وقال ما من[2] أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى من عشر ذي الحجة والشفع وهو كل زوج والوتر[3] وهو كل فرد فهو إقسام بالخلق كله والليل إذا يسر مقبلا أو مدبرا فهو بمعنى والليل إذا سار والسير يكون صاحبه ذاهبا أو آيبا وقوله تعالى ﴿هل في ذلك قسم لذي حجر﴾ أي لذي حجر ولب وعقل أي نعم فيه قسم عظيم وجواب القسم أو المقسم عليه جائز أن يكون قوله تعالى ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ الآتي ، وجائز أن يكون مقدراً مثل لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير، وهذا لأن السورة مكية وهي تعالج العقيدة ومن أكبر ما أنكره المشركون البعث والجزاء فلذا هذا الجواب مراد ومقصود. ويدل عليه ما ذكر تعالى من مظاهر قدرته في الآيات بعد والقدرة هي التي يتأتّى بها البعث والجزاء فقال عز وجل ﴿ألم تر[4] كيف فعل ربك﴾ أي ألم تنظر بعيني قلبك كيف فعل ربك بعاد[5] إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وهي عاد الأولى قوم هود الذين قالوا من أشد منا قوة، وقال لهم نبيهم هود وزادكم في الخلق بسطة فقد كان طول الرجل منهم اثنى عشر ذراعا، ولفظ إرم عطف بيان لعاد فإرم هي عاد قوم هود ووصفها بأنها ذات عماد وأنها لم يخلق مثلها في البلاد هو وصف لها بالقوة والشدة وفعلا كانوا أقوى الأمم وأشدها ولازم طول الأجسام أن تكون أعمدة المنازل كأعمدة الخيام من الطول ما يناسب سكانها في طولهم . ومع هذه القوة والشدة فقد أهلكهم الله الذي هو أشد منهم قوة وقـولـه تعالى ﴿وثمود الذين[6] جابوا الصخر بالواد﴾. أي وانظر كيف فعل ربك بثمود وهم أصحاب الحجر (مدائن صالح) شمال المدينة النبوية قوم صالح الذين كانوا أقوياء أشداء حتى

---

(١) لصلوحية الشفع والوتر لأشياء كثيرة ذكر القرطبي منها عدداً كثيراً فروى عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال الشفع والوتر الصلاة منها شفع ومنها وتر، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال الشفع صلاة الصبح والوتر صلاة المغرب وأولى ما يقال أن الله تعالى أقسم بكافة خلقه إذ كل ما عداه تعالى ما بين شفع ووتر، إذ الشفع ما يكون ثانياً لغيره، والوتر الشيء المفرد.

(٢) رواه مسلم وغيره.

(٣) قرأ نافع والجمهور والوتر بفتح الواو وكسرها حفص.

(٤) ألم تر استفهام تقريري والمخاطب به النبي ﷺ وهو متضمن التعريض بالمشركين المعاندين، كما هو متضمن الوعد بنصر رسوله ﷺ والرؤية قلبية أو هي بمعنى ألم ينتهي إلى علمك فعل ربك بعاد الخ . .

(٥) عاد اسم أبي قبيلة وهو عاد بن عُوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام .

(٦) وكون عاد إرم هم قوم هود عليه السلام يرجحه ذكر ثمود بعدهم في السياق كما هو في سائر قصص القرآن .

إنهم قطعـوا الصخور نحتاً لها فجعلوا منها البيوت والمنازل كما قال تعالى عنهـم ﴿وتنحتون الجبال بيوتاً﴾ والمراد بالواد واديهم الذي كان بين جبلين من جبالهم التي ينحتون منها البيوت . فمعنى جابوا الصخر بالواد أي قطعوا الصخور بواديهم وجعلوا منها مساكن لهم تقيهم برد الشتاء القارص وحر الصيف اللافح ، ومع هذا فقد أهلكهم الله ذو القوة المتين وقوله ﴿وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في[1] البلاد فأكثروا فيها الفساد﴾ وانظر يارسولنا كيف فعل ربك بفرعون صاحب المشانق والقتل والتعذيب إذ كان له أربعة أوتاد إذا أراد قتل من كفر به وخرج عن طاعته قيد كل يد بوتد وكل رجل بوتد ويقتله كما هي المشانق التي وضعها الطغاة الظلمة فيما بعد . وقوله تعالى ﴿الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد﴾ وهو الشرك والمعاصي فأهلكهم الله أجمعين عاد إرم وثمـود وفرعون وملأه إذ صب عليهم ربك سوط عذاب[2] أي نوع عذاب من أنواع عذابه فأهلك عاد إرم بالريح الصرصر، وثمود بالصيحة العاتية ، وفرعون بالغرق في البحر. وقوله تعالى ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ أي لكل جبارعات وطاغية ظالم أي هو تعالى يرصد أعمال العباد ليجزيهم بهـا في الدنيا وفي الآخرة. ولفظ المرصاد يطلق على مكان يرصد فيه تحركات الصيد الذي يصاد، أو تحركات العدووهوكبرج المراقبة . والرب تبارك وتعالى فوق عرشه والخليقة كلها تحته يعلم ظواهرها وبواطنها ويراقب أعمالها ويجزيها بحسبها قال تعالى ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾ .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- فضل الليالي العشر من أول ذي الحجة إلى العاشر منه .

٢- بيان مظاهر قدرة الله في إهلاك الأمم العاتية والشعوب الظالمة مستلزم لقدرته تعالى على البعث والجزاء والتوحيد والنبوة وهو ما أنكره أهل مكة .

٣- التحـذير من عذاب الله ونقمـه فإنـه تعـالى بالمـرصاد فليحذر المنحرفون عن سبيل الله والحاكمون بغير شرعه والعاملون بغير هداه أن يصب عليهم سوط عذاب .

---

(١) جائز أن يكون الموصول مراداً به عاد إرم وثمود وفرعون ، وكونه عائداً إلى فرعون أولى وإن كان الجميع طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد بالشرك والظلم والفساد.

(٢) السوط آلة ضرب يتخذ من جلد يضفر ظفراً فيصبح كالعصا فتضرب به الخيل لتسرع في جريها، ويطلق العرب لفظ سوط على كل عذاب يكون فيه السوط ، وسوط عذاب هو من إضافة الصفة إلى الموصوف إذ كلمة سوط صفة للعذاب والعرب يطلقون لفظ سوط العذاب على كل نهاية العذاب حتى قال الشاعر:

ألم تر أن الله أظهر دينه   وصب على الكفار سوط عذاب

فَأَمَّا
ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ
﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾
كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ
ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾
وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

فأما الإنسان : أي الكافر المشرك.

ابتلاه : أي اختبره.

وأكرمه ونعمه : أي بالمال والجاه ونعَّمه بالخيرات.

أكرمن : أي فضلني لمالي من مزايا على غيري.

فقدر عليه رزقه : أي ضيقه ولم يوسعه عليه.

أهانن : أي أذلني بالفقر ولم يشكر الله على ما وهبه من سلامة جوارحه والعافية في جسمه.

كلا : أي ليس الأمر كما يرى هذا الكافر ويعتقد ويقول.

التراث : أي الميراث.

اكلا لما : أي أكـلًا كثيرا ولمَّـاً شديداً إذ يلمـون نصيب النساء والأطفال لما لهم فلا يورثونهم من التركة.

حبا جما : أي حبا شديداً كثيراً.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿فأما[1] الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي[2] أكرمن﴾ لقد تقدم قول الله

(١) الفاء للتفريع وما بعدها متفرع عما قبلها، وفي التفسير بيان ذلك وتوضيحه فليتأمل.
(٢) قرأ نافع ربي في الموضعين بفتح الياء وقرأ حفص بسكون الياء ممدودة.

تعالى ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ وهو دال على أن الله تعالى يحب من عبده أن يعبده ويشكره ليكرمه في دار كرامته يوم لقائه، وإعلام الله تعالى عباده بأنه بالمرصاد يراقب أعمالهم دلالته على أنه يخوفهم من معاصيه ويرغبهم في طاعته واضحة فتلخص من ذلك أن الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر وأنه يحب لهم الشكر فأما الإنسان فماذا يحب وماذا يكره قال تعالى عنه فأما الإنسان وهو المشرك وأكثر الناس مشركون إذا ما ابتلاه ربه اي اختبره فأكرمه بالمال والولد والجاه ونعمه بالأرزاق والخيرات لينظر الله هل يشكر أو يكفر فيقول مفاخراً ربي أكرمن أي فضلني على غيري لما لي من فضائل ومزايا لم تكن لهؤلاء الفقراء وأما إذا ماابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن[1] أي وأما إذا ما اختبره وضيق عليه رزقه لينظر تعالى هل يصبر العبد المختبر أو يجزع فيقول ربي اهانن أي أذلني فأفقرني.

وقوله تعالى ﴿كلا[2] بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلا لما[3] وتحبون المال حبا جما[4]﴾ أي ألا فارتدعوا أيها الماديون الذين تقيسون الأمور كلها بمقاييس المـادة فالله جل جلاله يوسع الرزق اختبارا للعبد هل يشكر نعم الله عليه فيذكرها ويشكرها بالإيمان والطاعة ويضيّق الرزق امتحانا هل يصبر العبد لقضاء ربه أو يجزع. وإنما أنتم أيها المـاديون ترون أن في التـوسعة اكراما وفي التضييق إهانة كلا ليس الأمر كذلك، ونظريتكم المادية هذه أتتكم من حبكم الدنيا واغترارکم بها ويشهد بذلك إهانتكم لليتامى وعدم إكرامكم لهم لضعفهم وعجـزهم أمامكم، وعدم الاستفادة المادية منهم. وشاهد آخر أنكم لاتحضون أنفسكم ولا غيركم على إطعام المساكين وهم جياع أمامكم، وآخر أنكم تأكلون التراث أي الميراث أكـلا لمـا شديدا تجمعـون مال الورثة من الأطفال والنساء إلى أموالكم. وتحرمون الضعيفين الأطفـال والنســاء. وآخر وتحبون المال حبا جما أي قويا شديدا. كلا ألا ارتدعوا واخرجوا من دائرة هذه النظرية المادية قبل حلول العذاب، ونزول ما تكرهون. فآمنوا بالله ورسوله.

---

(١) قرأ نافع أكرمني وأهانني بياء ساكنة في الوصل ويحذفها في الوقف وقرأ حفص بدون ياء في الوصل والوقف معاً. وكتابة الياء مفصولة عن النون إشارة إلى أنها تحذف في الوقف.

(٢) كلا حرف زجر وردع للإنسان القائل أكرمن وأهانن إذ قوله باطل ولم يقم على علم بالإكرام ولا بالإهانة فالإكرام علته الاختبار هل يشكر العبد أو يكفر، وتقدير الرزق تضييقه علته الامتحان هل يصبر العبد أو يسخط هذه هي الحقيقة والعبد الكافر الجاهل يري أن الإكرام لشخص المكرم والإهانة كذلك.

(٣) لما أي جمعاً شديداً يقال لممت الطعام ألمه إذا جمعته وأكلته ومنه قول بعضهم لم الله شملك أو شعثك أي جمع ما تفرق من أمرك.

(٤) جماً أي كثيراً حلاله وحرامه إذ الجم الكثير يقال جم الشيء يجم جموماً فهو جم وجام. ومنه جم الماء في الحوض أو البئر إذا اجتمع والجموم البئر الكثيرة الماء.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ النظرية المادية لم تكن حديثة عهد إذ عرفها الماديون في مكة من مشركي قريش قبل أربعة عشر قرنا.

٢ـ وجوب اكرام اليتامى والحض على إطعام الجياع من فقراء ومساكين.

٣ـ وجوب اعطاء المواريث لمستحقيها ذكورا أو اناثا صغارا أو كبارا.

٤ـ التنديد بحب المال الذي يحمل على منع الحقوق، ويزن الأمور بميزانه قوة وضعفا.

كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا
دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ
بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾
يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾
وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ
إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات :

إذا دكت الأرض دكا : أي حركت حركة شديدة وزلزلت زلزالا قويا فلم يبق عليها شاخص البتة.

والملك صفا صفا : أي والملائكة أي صفا بعد صف.

وجيء يومئذ بجهنم : أي تجر بسبعين ألف زمام كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك.

يتذكر الإنسان : أي الكافر ما قالت له الرسل من وعد الله ووعيده، يوم لقائه.

وأنّى له الذكرى : أي لا تنفعه في هذا اليوم الذكرى.

قدمت لحياتي : أي هذه الإيمان وصالح الأعمال.

لا يعذب عذابه أحد : أي لا يعذب مثل عذاب الله أحد أي في قوته وشدته.

ولا يوثق وثاقه أحد : أي ولا يوثق أحد مثل وثاق الله عز وجل.

يا أيتها النفس المطمئنة :أي المؤمنة الآمنة اليوم من العذاب لما لاح لها من بشائر النجاة.
ارجعي إلى ربك : أي إلى جواره في دار كرامته أي الجنة.
فادخلي في عبادي : أي في جملة عبادي المؤمنين المتقين.
وادخلي جنتي : أي دار كرامتي لأوليائي.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿إذا دكت الأرض دكا دكا﴾[1] هو كقوله ﴿وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت﴾ ﴿وجاء ربك﴾ أي لفصل القضاء ﴿والملك صفاً صفاً﴾[2] بعد صف، ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ تجر بسبعين ألف زمام كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك. هنا وفي هذا اليوم وفي هذه الساعة ﴿يتذكر الإنسان﴾ المهمل المفرط المعرض عن دعوة الرسل، الكافر بلقاء الله والجزاء على الأعمال ﴿وأنى له الذكرى﴾[3] هنا يتذكر وماذا يتذكر؟، وكفره كان عريضاً وشره كان مستطيراً، ماذا يتذكر وهل تنفعه الذكرى، اللهم لا، لا وماذا عساه أن يقول في هذا الموقف الرهيب يقول نادما متحسرا ﴿ياليتني قدمت لحياتي﴾ أي هذه الحياة الماثلة بين يديه، وهل ينفعه التمني اللهم لا، لا.

قال تعالى مخبرا عن شدة العذاب وقوة الوثاق ﴿فيومئذ﴾ أذ تقوم القيامة ويجيء الربّ لفصل القضاء ويجاء بجهنم ويتذكر الإنسان ويأسف ويتحسر في هذا اليوم يقضي الله تعالى بعذاب أهل الكفر والشرك والفجور والفسوق فيعذبون ويوثقون بأمر الله وقضائه في السلاسل ويغلون في الأغلال ويذوقون العذاب والنكال الأمر الذي ما عرفه الناس في الدنيا أيام كانوا يعذبون المؤمنين ويوثقونهم في الحبال وهو ما أشار إليه بقوله : ﴿فيومئذ لا يعذب[4] عذابه أحد﴾ أي لا يعذب عذاب احد في الدنيا مهما بالغ في التعذيب عذاب الله في الآخرة ﴿ولا يوثق وثاقه أحد﴾[5] أي لا يوثق أحد في الدنيا وثاق الله في الآخرة هذه صورة من عذاب الله لأعدائه من أهل الشرك به والكفر بآياته ورسوله ولقائه وأما أهل الإيمان به وطاعته وهم أولياؤه الذين آمنوا في الدنيا وكانوا يتقون فها هم ينادون فاستمع ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ إلى صادق وعد الله ووعيده في كتابه وعلى لسان رسوله فآمنت واتقت وتخلت عن الشرك والشر فكانت مطمئنة بالإيمان وذكر الله قريرة

---

(١) الدك الحطم والكسر، ودك الأرض تحطيمها وتفريق أجزائها.
(٢) الملك اسم جنس المراد به الملائكة وصفاً صفاً أي صفاً بعد صف أي خلفه ووراءه.
(٣) أنى اسم استفهام بمعنى أين له الذكرى والاستفهام مستعمل في الإنكار والنفي معاً والتقدير وأين له نفع الذكرى
(٤) جائز أن يعود الكلام على الإنسان الكافر ويكون معناه انه يعذب عذاباً لا يعذبه احد غيره ويوثق وثاقاً لايوثقه غيره من الموثقين، وما في التفسير أولى.
(٥) الوثاق بمعنى الإيثاق يقال أوثقته إيثاقاً.

العين بحب الله ورسوله، وما وعدها الرحمن ﴿ارجعي إلى ربك﴾ أي إلى جواره في دار كرامته حال كونك ﴿راضية﴾ ثواب الله لك مرضيا عنك من قبل مولاك ﴿فادخلي في عبادي﴾ أي في جملة عبادي الصالحين ﴿وادخلي جنتي﴾[1] فيقال لها هذا عندما يرسل الله الأرواح إلى الأجساد يوم المعاد، فإذا دخلت تلقتها الملائكة بالسلام وتساق إلى ساحة العرض وتعطى كتابها بيمينها وثم يقال لها ادخلي في عبادي أي في جملتهم وادخلي جنتي بعد مرورها على الصراط اللهم اجعل نفسي مثل تلك النفس[2] المطمئنة بالإيمان وذكر الله ووعد الرحمن وعد الصدق الذي كانوا يوعدون.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير المعاد بعرض شبه تفصيلي ليوم القيامة.

٢ـ بيان اشتداد حسرة المفرطين اليوم في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله يوم القيامة.

٣ـ بشرى النفس المطمئنة بالإيمان وذكر الله ووعده ووعيده، عند الموت وعند القيام من القبر وعند تطاير الصحف.

سُورَةُ البَلَدِ

مكية وآياتها عشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ
﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ
أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ

---

(١) إن كان هذا القول وهو بشرى عظيمة للمؤمن يقال عند الموت فمعنى ارجعي إلى ربك هو على ظاهره أي ارجعي إلى جوار ربك وكرامته وحسن ثوابه كما في التفسير. وإن كان هذا يقال يوم القيامة فمعنى إلى ربك إلى صاحبك أي إلى الجسد الذي كانت فيه، وذلك بعد خلق الله تعالى الأجساد وجائز أن يراد المعنيان فيقال هذا عند الموت. ويقال لها ذلك يوم القيامة وهذا من بلاغة القرآن وإعجازه فاللفظ واحد وهو صالح لموقفين مختلفين وسبحان الله العظيم.

(٢) أورد ابن كثير عند تفسير هذه الآية الدعاء الآتي اللهم إني أسألك نفساً بك مطمئنة تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك.

﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ
ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات:

لا أقسم بهذا البلد : أي مكة.

وأنت حل بهذا البلد : أي وأنت يا نبيّ الله محمد حلال بمكة.

ووالدوما ولد : أي وآدم وذريته.

في كبد : أي في نصب وشدة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

أيحسب أن لن يقدر : أي أيظن وهو أبو الأشدين بن كلدة وكان قويا شديدا.

أهلكت مالا لبدا : يقول هذا مفاخرا بعداوة الرسول وأنه أنفق فيها مالا كثيرا.

أيحسب أن لم يره أحد: أي أيظن أنه لم يره أحد؟ بل الله رآه وعلم ما أنفقه.

وهديناه النجدين : أي بيّنا له طريق الخير وطريق الشر بما فطرناه عليه من ذلك وبما أرسلنا به رسلنا وأنزلنا به كتبنا.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿لا أقسم[1] بهذا البلد وأنت حل[2] بهذا البلد ووالد وما ولد﴾ هذا قسم لله تعالى أقسم فيه بمكة بلده الأمين والرسول بها وهو حلّ يقاتل ويقتل فيها وذلك يوم الفتح الموعود. وقد قتل ﷺ يومها ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة وأقسم بوالد وما ولد فالوالد آدم وما[4] ولد ذريته منهم الأنبياء والأولياء وجواب القسم أو المقسم عليه قوله ﴿لقد خلقنا[3] الإنسان في كبد﴾ أي في نصب وتعب لايفارقانه منذ تخلقه في بطن أمه إلى وفاته بانقضاء عمره ثم يكابد شدائد الآخرة ثم إما إلى نعيم لا نصب معه ولا تعب، وإما إلى جحيم لا يفارقه ماهو أشدمن النصب والتعب عذاب الجحيم هكذا شاء الله وهو العليم الحكيم. وفي هذا الخبر الإلهي المؤكد بأجل قسم على أن الإنسان محاط منذ نشأته إلى نهاية أمره بالنصب والتعب ترويح على نفوس المؤمنين بمكة وهم

---

(١) الابتداء بالقسم للتشويق إلى ما يذكر بعد القسم، ولا مزيدة لتقوية الكلام.

(٢) جملة وأنت حل بهذا البلد معترضة بين المتعاطفين وفائدتها تسلية للرسول ﷺ ووعده بنصره على أعدائه.

(٣) لقد خلقنا: هذا جواب القسم والإنسان للجنس ولا يراد به واحد بعينه وبعضهم يرى أن المراد به أبو الأشدّين أسيد بن كلدة الجمحي.

(٤) من مظاهر أن الإنسان مربوب وأن له رباً يسيره ويدبر حياته كونه لا يفارق النصب والتعب مدة حياته وهو لا يريد ذلك.

يعانون من الحاجة والاضطهاد والتعذيب أحيانا من طغاة قريش لا سيما المستضعفين كياسر وولده عمار وبلال وصهيب وخبيب، وحتى الرسول الكريم ﷺ فهو لم يسلم من أذى المشركين فإذا عرفوا طبيعة الحياة وأن السعادة فيها أن يعلم المرء أن لا سعادة بها هان عليهم الأمر وقل قلقهم وخفت آلامهم. كما هو تنبيه للطغاة وإعلام لهم بما هم عنه غافلون لعلهم يصحون من سكرتهم بحب الدنيا وما فيها وقوله عز وجل ﴿أيحسب﴾[1] الإنسان ﴿أن لم يره أحد﴾ هذا الإنسان الذي قيل أنه أبو الأشدّيْن الذي أنفق ماله في عداوة الرسول ﷺ والإسلام ويتبجّح بذلك ويقول ﴿أهلكت مالا لبدا﴾ كثيرا بعضه فوق بعض بلى إن الله تعالى قد رآه وعلم به وعَلِم القدر الذي أنفقه وسوف يحاسب عليه ويجزيه به، ولن ينجيه اعتقاده الفاسد أنه لا بعث ولا جزاء قال تعالى مقررا له بقدرته ونعيمه عليه ﴿ألم نجعل[2] له عينين ولسانا وشفتين[3] وهديناه النجدين[4]﴾ أي أعطيناه عينين يبصر بهما ولسانا ينطق به ويفصح عن مراده وزيناه بشفتين يستر بهما فمه وأسنانه ثم هديناه النجدين أي بيّنا له طريق الخير والشر والسعادة والشقاء بما أودعنا في فطرته وبما أرسلنا به رسلنا وأنزلنا به كتبنا أنسي هذا كله وتعامى عنه ثم هو ينفق ما اعطيناه في حرب رسولنا وديننا.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ شرف مكة وحرمتها وعلو شأن الرسول ﷺ وسمو مقامه وهو فيها وقد أحلها الله تعالى له ولم يحلها لأحد سواه.

٢ـ شرف آدم وذريته الصالحين منهم.

٣ـ اعلان حقيقة وهي أن الإنسان لا يبرح يعاني من أتعاب الحياة حتى الممات ثم يستقبل شدائد الآخرة إلى أن يقر قراره وينتهي تطوافه باستقراره في الجنة حيث يستريح نهائيا، أو في النار فيعذب ويتعب أبدا.

فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾
فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَـٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ

---

(١) الاستفهام إنكاري مشبع بالتوبيخ والتقريع.
(٢) ألم نجعل الاستفهام تقريري وفيه معنى التوبيخ.
(٣) الشفتين واحدتها شفة وأصلها شفو فقلبت الواو هاء فصارت شفة وتجمع على شفاه.
(٤) النجد الأرض المرتفعة ارتفاعاً دون الجبل، والمراد بالنجدين طريقا الخير والشر كما في التفسير.

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟
بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ الْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات:

فلا اقتحم : أي فهلا تجاوز.

العقبة : أي الطريق الصعب في الجبل، والمراد به النجاة من النار.

فك رقبة : أي اعتق رقبة في سبيل الله تعالى.

في يوم ذي مسغبة : أي في يوم ذي مجاعة وشدة مؤونة.

يتيما ذا مقربة : أي أطعم يتيما من ذوي قرابته.

مسكينا ذا متربة : أي أطعم فقيراً لاصقا بالتراب ليس له شيء.

وتواصوا بالصبر : أي أوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله.

وتواصوا بالمرحمة : أي أوصى بعضهم بعضا برحمة الفقراء والمساكين.

أصحاب الميمنة : أي أصحاب اليمين وهم المؤمنون المتقون.

أصحاب المشأمة : أي أصحاب الشمال وهم الكفار الفجار.

مؤصدة : أي مطبقة لانافذة لها ولا كوة فلا يدخلها هواء.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿فلا اقتحم العقبة﴾[1] فهلا أنفق أبو الأشدين ما أنفقه في عداوة محمد ﷺ هلا أنفقه في سبيل الله فاقتحم بها العقبة فتجاوزها، وقوله تعالى ﴿وما أدراك ما العقبة﴾[2] هذا تفخيم لشأنها وتعظيم له وقوله ﴿فك رقبة[3] أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان[4] من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة﴾ بهذه الأمور الأربعة تقتحم العقبة وتجتاز فينجو صاحبها من النار والأمور الأربعة هي:

(١) ذهب القرطبي إلى أن فلا هي بمعنى هلا التي هي للتحضيض، وهو ما قررناه في التفسير وجائز أن يكون استفهاماً إنكارياً ينكر عليه إنفاق أمواله فيما يضره وعدم إنفاقها فيما ينفعه.

(٢) الاستفهام للتشويق إلى معرفة حقيقة العقبة.

(٣) فك رقبة وما بعدها بيان للعقبة، إذ التقدير هي فك رقبة. والمراد من فك الرقبة عتقها. وفي الحديث من أعتق رقبة مؤمنة كانت فداءه من النار.

(٤) هذه الجملة عطف على الجمل المسوقة للذم والتوبيخ.

● فك رقبة وقد ورد من اعتق رقبة مؤمنة فهي فداؤه من النار.

● إطعام في يوم ذي مسغبة أي مجاعة يتيما[1] ذا مقربة أي قرابة أو مسكينا ذا متربة أي ذا لصوق بالأرض لحاجته وشدة فقره.

● إيمان صادق بالله ورسوله وآيات الله ولقائه يحيا به قلبه.

● تواصى بالصبر أي مع المؤمنين المستضعفين بالثبات على الحق ولزوم طريقه وتواصي بالمرحمة مع أهل المال أن يرحموا الفقراء والمساكين فيسدوا خلتهم ويقضوا حاجتهم.

بهذه الأربعة تجتاز العقبة وينجو المرء من عذاب الله، وفي مثل هذا تنفق الأموال لا أن تنفق في الدسائس والمكر بالصالحين وخداع المؤمنين.

وقوله تعالى ﴿والذين كفروا بآياتنا﴾ لما ذكر الإيمان والعمل الصالح وهما المنجيان من عذاب الله تعالى ذكر ضدهما وهما الكفر والمعاصي وهما المهلكان الشرك والمعاصي لأن الكفر بآيات الله لازمه البقاء على الشرك المنافي للتوحيد، والعصيان المنافي للطاعة وقوله تعالى ﴿أولئك أصحاب المشأمة﴾ أي الشمال ﴿عليهم نار مؤصدة﴾ مغلقة الأبواب مطبقة هي جزاؤهم لأنهم كفروا بآيات الله وعصوا رسوله.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ التنديد بمن ينفق ماله في معصية الله ورسوله، والنصح له بالإنفاق في الخير فإنه أجدى له، وأنجى من عذاب الله. ٢ـ بيان أن عقبة عذاب الله يوم القيامة تقتحم وتجتاز بالإنفاق في سبيل الله وبالإيمان والعمل الصالح والتواصي به.

٣ـ التنديد بالكفر والوعيد الشديد لأهله.

سُورَةُ الشَّمْسِ

مكية وآياها خمس عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾
وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا

(١) اليتيم: الولد الذي ليس له أب لموته وهو دون البلوغ.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾

شرح الكلمات:

وضحاها : أي ونهارها

إذا تلاها : أي تلا الشمس فطلع بعد غروبها مباشرة وذلك ليلة النصف من الشهر.

إذا جلاها : أي إذا أضاءها.

إذا يغشاها : أي غشى الشمس حتى تظلم الآفاق.

وما بناها : أي ومن بناها وهو الله عز وجل حيث جعل السماء كالسقف للأرض.

وما طحاها : أي ومن بسطها وهو الله عز وجل.

وما سواها : أي ومن سوى خلقها وعدله وهو الله عز وجل.

فألهمها فجورها : أي فبيّن لها ما ينبغي لها أن تأتيه أو تتركه من الخير والشر.

أفلح من زكاها : أي فاز بالنجاة من النار ودخول الجنة من طهر نفسه من الذنوب والآثام.

وقد خاب : أي خسر في الآخرة نفسه وأهله يوم القيامة.

من دساها : أي دسّى نفسه إذا أخفاها وأخملها بالكفر والمعاصي واصل دسها دسسها فأُبدلت إحدى السينَيْن ياءً.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿والشمس(١) وضحاها(٢)﴾ إلى قوله ﴿وقد خاب من دساها﴾ تضمنت هذه الآيات العشر قسماً إلهياً من أعظم الأقسام ومقسماً عليه وهو جواب القسم ومقسما لهم وهم سائر الناس فالقسم كان بما يلي بالشمس وضحاها وبالقمر إذا تلاها أي تلا الشمس إذا طلع بعد غروبها وذلك ليلة النصف من الشهر وبالنهار إذا جلاها إذا أضاء فكشف الظلمة أو الدنيا، وبالليل إذا يغشاها أي يغشى الشمس حتى تظلم الآفاق وبالسماء وما بناها على(٣) أن ما تكون غالبا لغير العالم وقد تكون للعالم

---

(١) افتتحت بالقسم للتشويق إلى أخبارها ولم يقسم الله تعالى على شيء كما أقسم على جواب هذا القسم وهو حكم تقرير مصير الإنسان في الحياة الآخرة.

(٢) الضحى هو وقت ارتفاع الشمس مقدار رمح عن سطح الأرض فيما يرى الرائي إلى قبيل الزوال بربع ساعة تقريباً. وفيه تقع صلاة الضحى.

(٣) جائز أن تكون (ما) في الجمل الثلاثة (وما بناها) (وما طحاها) (وما سواها) مصدرية فيكون الإقسام بالسماء وبنائها والأرض وطحوها، والنفس وتسويتها إلا أن ما في التفسير وهو اختيار ابن جرير أولى إذ هو إقسام بالرب تعالى.

كما هي هنا فالذي بناها هو الله سبحانه وتعالى بالأرض وما طحاها أي بسطها وهو الله تعالى وبالنفس وما سواها أي خلقها وعدل خلقها وهو الله تعالى وقوله فألهمها فجورها وتقواها أي خلقها وسوى خلقها وألهمها أي بين لها الخير والشر أي ما تعمله من الصالحات وماتتجنبه من المفسدات فأقسم تعالى بأربع من مخلوقاته العظام وبنفسه وهو العلي العظيم على ما دل عليه قوله ﴿قد أفلح[1] من زكاها وقد خاب من دساها﴾ وهو المقسم عليه وهو أن من وفقه الله وأعانه فزكى نفسه أي طهرها بالإيمان والعمل الصالح مبعدا لها عما يدنسها من الشرك والمعاصي فقد أفلح بمعنى فاز يوم القيامة وذلك بالنجاة من النار ودخول الجنة لأن معنى الفوز لغة هو السلامة من المرهوب والظفر بالمرغوب وأن من خذله الله تعالى لما له من سوابق في الشر والفساد فلم يزك نفسه بالإيمان والعمل الصالح ودساها أي دسسها[2] اخفاها وأخملها بما أفرغ عليها من الذنوب وما غطاها من آثار الخطايا والآثام فقد خاب بمعنى خسر في آخرته فلم يفلح فخسر نفسه وأهله وهو الخسران المبين.

هداية الايات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان مظاهر القدرة الإلهية في الآيات التي أقسم بها الرب تعالى.

٢ـ بيان بما يكون به الفلاح، وما يكون به الخسران.

٣ـ الترغيب في الإيمان والعمل الصالح والترهيب من الشرك والمعاصي.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ
نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾

---

(١) قد أصلها لقد أفلح لأنها جواب القسم وحذفت اللام لطول جمل القسم إذ بلغت ثمان جمل.

(٢) فعل دسّ كان دسس فابدلوا السين الآخرة ياء لوجود ثلاثة أحرف من نوع واحد طلباً للتخفيف، وأصل دَسّى دس من دس الشيء إذا أخفاه بين شيئين حتى لا يظهر ومعنى دساها هو كما في التفسير أخفاها بما صب عليها من أوضار الذنوب فتدست وتدنست.

شرح الكلمات:

ثمود : أي أصحاب الحجر كذبوا رسولهم صالحا عليه السلام.

بطغواها : أي بسبب طغيانها في الشرك والمعاصي.

إذ انبعث : أي انطلق مسرعا.

أشقاها : أي أشقى القبيلة وهو قُدار بن سالف الذي يضرب به المثل فيقال أشأم من قدار.

رسول الله : أي صالح عليه السلام.

ناقة الله وسقياها : أي ذروها وشربها في يومها.

فكذبوه : أي فيما اخبرهم به من شأن الناقة.

فعقروها : أي قتلوها ليخلص لهم ماء شربها في يومها.

فدمدم : أي اطبق عليهم العذاب فأهلكهم.

بذنبهم : أي بسبب ذنوبهم التي هي الشرك والتكذيب وقتل الناقة.

فسواها : أي سوى الدمدم عليهم فلم يفلت منهم أحد.

ولا يخاف عقباها : أي ولا يخاف الربّ تعالى تبعة إهلاكهم كما يخاف الإنسان عاقبة فعله إذا هو قتل أحدا أو عذبه.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿كذبت ثمود﴾[1] إلى قوله ﴿ولا يخاف عقباها﴾ هذه الآيات سيقت للتدليل على أمور هي أن الذنوب موجبة لعذاب الله في الدنيا والآخرة، وأن تكذيب الرسول الذي عليه كفار مكة منذر بخطر عظيم إذا استمروا عليه فقد يهلكهم الله به كما أهلك أصحاب الحجر قوم صالح، وأن محمداً رسول الله حقا وصدقا وإن انكار قريش له لا قيمة له، وأنه لا إله إلا الله. وأن البعث والجزاء ثابتان بأدلة قدرة الله وعلمه فقوله تعالى ﴿كذبت ثمود﴾ إخبار منه تعالى المراد به إنذار قريش من خطر استمرارها على التكذيب وتسلية الرسول والمؤمنين وقوله ﴿بطغواها﴾[2] أي بسبب ذنوبها التي بلغت فيها حد الطغيان الذي هو الإسراف ومجاوزة الحد في الأمر. وبيّن تعالى

---

(١) ثمود هي القبيلة المعروفة قوم صالح عليه السلام ومنازلهم بالحجر وهم أصحاب الحجر والجملة بيانية، لأن من سمع جواب القسم وهو فلاح من زكى نفسه وخيبة من دساها وخسرانه تشوق إلى مثال لذلك فكان تكذيب ثمود وهلاكها.

(٢) الطغو اسم مصدر وهي كالطغيان الذي هو فرط الكبر والباء سببية أي كذبت ثمود رسولها صالحاً عليه السلام بسبب طغواها، لأن الكبر إذا عظم في الإنسان يحمله على الجحود والمعاندة والتكذيب.

ظرف ذلك بقوله ﴿إذ انبعث﴾[1] أشقى تلك القبيلة الذي هو قُدار بن سالف الذي يضرب به المثل في الشقاوة فيقال أشأم من قدار وقال فيه رسول الله أشقى الأولين والآخرين قدار بن سالف وقوله فقال لهم رسول الله أي صالح ناقة الله[2] أي احذروها فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ذروها وسقياها أي وماء شربها إذ كان الماء قسمة بينهم لها يوم ولهم يوم.

﴿فكذبوه﴾ في ذلك وفي غيره من رسالته ودعوته إلى عبادة الله وحده ﴿فعقروها﴾[3] أي فذبحوها ﴿فدمدم عليهم ربهم﴾ أي أطبق عليهم العذاب وعمهم به فلم ينج منهم أحد وذلك بذنبهم لابظلم منه تعالى، فسواها في النقمة والعذاب ولا يخاف عقباها[4] أي تبعة تلحقه من هلاكها إذ هو رب الكل ومالك الكل وهو القاهر فوق عباده وهو العزيز الحكيم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان أن نجاة العبد من النار ودخوله الجنة متوقف على زكاة نفسه وتطهيرها من أوضار الذنوب والمعاصي، وأن شقاء العبد وخسرانه سببه تدنيسه نفسه بالشرك والمعاصي وكل هذا من سنن الله تعالى في الأسباب والمسببات.

٢- التحذير من الطغيان وهو الإسراف في الشر والفساد فإنه مهلك ومدمر وموجب للهلاك والدمار في الدنيا والعذاب في الآخرة.

٣- تسلية الرسول ﷺ والتخفيف عنه إذ كذبت قبل قريش ثمود وغيرها من الأمم كأصحاب مدين وقوم لوط وفرعون.

٤- انذار كفار قريش عاقبة الشرك والتكذيب والمعاصي من الظلم والاعتداء.

---

(١) انبعث مطاوع بعث أي بعثته فانبعث، إذا القوم بعثوا قُداراً أي أرسلوه فالبعث إجابة لهم إذ كان عقره الناقة بموافقتهم ورضاهم. بل بتحريضهم له ودفعهم إليها.

(٢) ناقة الله منصوب على التحذير كما في التفسير والإضافة للتشريف والسقيا اسم مصدر من سقى يسقي سقيا.

(٣) فعقروها: العقر هو جرح البعير في يديه ليبرك على الأرض من الألم فإذا برك ذبح هذا الأصل ثم أصبح يطلق عقر البعير على ذبحه. والفاء في فعقروها للترتيب.

(٤) العقبى اسم لما يحصل عقب فعل من الأفعال من تَبِعَة لصاحبه أو مثوبة فهي كالعاقبة وهي الحال التي تعقب من خير وشر.

سورة الليل (١)

مكيـة وآياتها احدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾
إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾
فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ
﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

إذا يغشى : أي بظلمته كل ما بين السماء والأرض في الإقليم الذي يكون به .

إذا تجلى : أي تكشف وظهر في الإقليم الذي هو به وإذا هنا وفي التي قبلها ظرفية وليست شرطية .

وما خلق الذكر والأنثى: أي ومن خلق الذكر والأنثى آدم وحواء وكل ذريتهما وهو الله تعالى .

إن سعيكم لشتى : أي ان عملكم أيها الناس لمختلف منه الحسنة المورثة للجنة ومنه السيئة الموجبة للنار.

من أعطى واتقى : أي حق الله وانفق في سبيل الله واتقى ما يسخط الله تعالى من الشرك والمعاصي .

وصدق بالحسنى : أي بالخلف لحديث اللهم أعط منفقا خلفاً.

فسنيسره لليسرى : أي فسنيسره للخلة أي الخصلة اليسرى وهي العمل بما يرضاه الله منه في الدنيا ليوجب له به الجنة في الآخرة.

وأما من بخل واستغنى: أي منع حق الله والإنفاق في سبيل الله واستغنى بماله عن الله فلم يسأله من فضله ولم يعمل عملا صالحا يتقرب به إليه .

وكذب بالحسنى : أي بالخلف وما تثمره الصدقة والإيمان وهو الجنة .

---

(١) قال صلى بنا عمر بن عبدالعزيز المغرب فقرأ (والليل إذا يغشى) فلما بلغ (فأنذرتكم ناراً تلظى) وقع عليه البكاء فلم يقدر يتعداها من البكاء فتركها وقرأ سورة أخرى.

فسنيسره للعسرى : فسنهيئه للخلة العسرى وهي العمل بما يكرهه الله ولا يرضاه ليكون قائده إلى النار.

إذا تردى : أي في جهنم فسقط فيها.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والليل﴾ أقسم تعالى بالليل[1] ﴿إذا يغشى﴾ بظلامه الكون، وبالنهار ﴿إذا تجلى﴾[2] أي تكشف وظهر وهما آيتان من آيات الله الدالتان على ربوبيته تعالى الموجبة لألوهيته، وأقسم بنفسه جل وعز فقال ﴿وما خلق[3] الذكر والأنثى﴾ أي والذي خلق الذكر والأنثى آدم وحواء ثم سائر الذكور وعامة الإناث من كل الحيوانات وهو مظهر لا يقل عظمة على آيتي الليل والنهار والمقسم عليه أو جواب القسم هو قولـه ﴿إن سعيكم لشتى﴾ أي إن عملكم أيها الناس لمختلف منه الحسنات الموجبة للسعادة والكمال في الدارين ومنه السيئات الموجبة للشقاء في الدارين أي دار الدنيا ودار الآخرة. وبناءً على هذا ﴿فأما من اعطى﴾ حق الله في المال فأنفق وتصدق في سبيل الله ﴿واتقى﴾ الله تعالى فآمن به وعبده ولم يشرك به ﴿وصدق بالحسنى[4]﴾ التي هي الخلف أي العوض المضاعف الذي واعد به تعالى من ينفق في سبيله في قوله ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾ وفي قول الرسول ﷺ في الصحيح[5] [ما من يوم تطلع فيه الشمس إلا ملكان ينزلان فيقـول أحدهما اللهم اعط منفقاً خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا]، فَسَيُهَيِّئُهُ للخلة اليسرى وهي العمل بما يرضاه الله منه في الدنيا ويثيبه عليه في الآخرة بالجنة ﴿وأما من بخل﴾ بالمال فلم يعط حق الله فيه ولم يتصدق متطوعا[6] في سبيل الله ﴿واستغنى﴾ بماله وولده وجاهه فلم يتقرب إلى الله تعالى بطاعته في ترك معاصيه ولا في أداء فرائضه وكذب بالخلف من الله

---

(١) من لطائف هذا الإقسـام بالليل والنهار وهما ضدان الإشارة إلى تضاد الذكر والأنثى والحسن والسوء والعسر واليسر والتصديق والتكذيب وهذا محتوى هذه السورة.

(٢) تجلى النهار وضوح ضوئه أقسم الله تعالى بكل من الليل وظلمته والنهار وضوءه لما في ذلك من مظاهر قدرة الله وعظمته على خلق الظلمات والنور.

(٣) يرى بعضهم أن المقسم به المصدر بناء على أن (ما) مصدرية والصحيح أنها موصولة وأن الإقسام كان بالرب تبارك وتعالى فإنه أعظم إقسام.

(٤) كلمة الحسنى صالحة لعدة معان وهي مؤنث الأحسن ولذا هي صفة لموصوف محذوف وتنوسي فيها ذلك فصارت اسماً لما هو أحسن كالجنة والمثوبة الحسنة والنصر والعاقبة والخلف على المنفق في سبيل الله وهو الراجح هنا لاختيار ابن جرير له.

(٥) رواه البخاري وغيره.

(٦) في الآية دليل على أن الجود من مكارم الأخلاق والبخل من أرذلها، وليس الجواد الذي يعطى في غير موضع العطاء كما ليس البخيل الذي يمنع في موضع المنع لكن الجواد الذي يعطي في موضع العطاء والبخيل الذي يمنع في موضع العطاء.

تعالى على من ينفق في سبيله ﴿فسنيسره للعسرى﴾[1] أي فسنهيئه للخلة العسرى[2] وهي العمل بما يكره الله تعالى ولا يرضاه من الذنوب والآثام ليكون ذلك قائده إلى النار. وقوله تعاى ﴿وما يغني عنه ماله إذا تردى﴾[3] يخبر تعالى بأن من بخل واستغنى وكذب بالحسنى حفاظا على ماله وشحا به وبخلا أن ينفقه في سبيل ربه هذا المال لا يغني عنه شيئا يوم القيامة إذا ألقي به في نار جهنم فتردى ساقطا فيها على أم رأسه كما قال تعالى ﴿وأما من خفت موازينه﴾ أي لعدم الحسنات الكافية فيها ﴿فأمه هاوية وما أدراك ما هي نار حامية﴾.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ بيان عظمة الله وقدرته وعلمه الموجبة لربوبيته المقتضية لعبادته وحده دون سواه.

٢ـ تقرير القضاء والقدر وهو أن كل انسان ميسر لما خلق له من سعادة أو شقاء لحديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له، مع تقرير أن من وفق للعمل بما يرضى الله تعالى كان ذلك دليلا على انه مكتوب سعيدا إذا مات على ما وفق له من العمل الصالح. وأن من وفق للعمل المسخط لله تعالى كان دليلا على انه مكتوب شقاوته إن هو مات على ذلك.

٣ـ تقرير أن التوفيق للعمل بالطاعة يتوقف حسب سنة الله تعالى على رغبة العبد وطلبه ذلك والحرص عليه واختياره على غيره وتسخير النفس والجوارح له. كما أن التوفيق للعمل الفاسد قائم على ما ذكرنا في العمل الصالح وهو اختيار العبد وطلبه وحرصه وتسخير نفسه وجوارحه لذلك هذه سنة من سنن الله تعالى في خلقه.

إِنَّ عَلَيْنَا
لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾
لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا
الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن
نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

---

(١) في قوله فسنيسره للعسرى تهكم به نحو فبشره بعذاب أليم.

(٢) حديث صحيح.

(٣) التردي السقوط من أعلى إلى أسفل المفضي بصاحبه إلى الهلاك.

شرح الكلمات:

إن علينا للهدى : أي إن علينا لبيان الحق من الباطل والطاعة من المعصية.

وإن لنا للآخرة والأولى : أي ملك ما في الدنيا والآخرة نعطي ونحرم من نشاء لا مالك غيرنا.

فأنذرتكم : أي خوفتكم.

نارا تلظى : أي تتوقد.

لا يصلاها : أي لا يدخلها ويحترق بلهبها.

إلا الأشقى : أي إلا الشقى.

الذي كذب وتولى : كذب النبي ﷺ فيما جاء به وتولى أعرض عن الإيمان به وبما جاء به من التوحيد والطاعة لله ورسوله.

وسيجنبها الآتقى : أي يبعد عنها التقي.

يتزكى : أي يتطهر به فلذا يخليه من النظر إلى غير الله فهو لذلـــك خال من الرياء والسمعة.

وما لآحد عنه من نعمة تجزى : أي ليس لأحد من الناس عليه منّة فهو يكافئه بذلك.

إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى : لكن يؤتي ماله في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله عز وجل.

ولسوف يرضى : أى يعطيه الله تعالى من الكرامة ما يرضي به في دار السلام.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿إن علينا للهدى﴾ الآيات . . بعد أن أعلم تعالى عباده أنه ييسر لليسرى من أعطى واتقى وصدق بالحسنى، وأنه ييسر للعسرى من بخل واستغنى وكذب بالحسنى أعلم بحقيقة أخرى وهي أن بيان الطريق الموصل بالعبد لليسرى هو على الله تعالى متكفل به وقد بينه بكتابه ورسوله فمن طلب اليسرى فأولا يؤمن بالله ورسوله ويوطن نفسه على طاعتهما ويأخذ في تلك الطاعة يعمل بها وثانيا ينفق في سبيل الله ما يطهر به نفسه من البخل وشح النفس ويظهر فقره وحاجته إلى الله تعالى بالتقرب إليه بالنوافل وصالح الأعمال وبذلك يكون قد يُسر فعلا لليسرى وقوله تعالى ﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾[1] أي الدنيا وعليه فمن طلبها من غيرنا فقد أخطأ ولا يحصل عليها بحال فطلب الآخرة يكون بالإيمان والتقوى، وطلب الدنيا يكون بالعمل حسب سنتنا في الكسب وحصول المال وقوله تعالى ﴿فأنذرتكم نارا[2] تلظى لا يصلاها إلا الأشقى[3] الذي كذب

(١) المراد بالآخرة الجنة، وإن كان اللفظ يشمل الآخرة بكل ما فيها من نعيم وجحيم وسعادة وشقاء وفوز وخسران.

(٢) تنكير (ناراً) للتهويل، وجملة تلظى نعت ومعنى تلظى: تتلهب من شدة الاشتعال.

(٣) يذكر بعض المفسرين أن المراد بالأشقى أمية بن خلف ونظراؤه من أكابر مجرمي قريش، واللفظ عام يشمل كل من ينطبق عليه الوصف المذكور.

وتولى﴾ أي فبناء على ما بيّنا لكم فقد أنذرتكم أي خوفتكم نارا تلظى أي تتوقد التهابا لا يصلاها لا يدخلها ويصطلي بحرها خالدا فيها أبدا إلا الأشقى أي الأكثر شقاوة وهو المشرك وقد يدخلها الشقي من أهل التوحيد ويخرج منها بتوحيده، حيث لم يكذب ولم يتول، ولكن فجر وعصى، وما أشرك وما تولى، وقوله تعالى ﴿وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى﴾ أي يعطي ماله في سبيل الله يتزكى به من مرض الشح والبخل وآثار الذنوب والإثم، وقوله ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء[1] وجه ربه الأعلى﴾ أي فهو ينفق ما ينفقه في سبيل الله خاصة وليس ما ينفقه من أجل أن عليه لأحد من الناس فضلا أو يداً فهو يكافئه بها لالا، وإنما هو ينفق ابتغاء وجه ربه الأعلى أي يريد رضا ربه تعالى لا غير. قال تعالى ﴿ولسوف يرضى[2]﴾ أي ما دام ينفق ابتغاء وجهنا فقط فسوف نكافئه ونعطيه عطاء يرضى به وذلك في الجنة دار السلام. هذه الآية الكريمة نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقد كان في مكة يشتري العبيد من مواليهم الذين يعذبونهم من أجل إسلامهم فكان يشتريهم ويعتقهم لوجه الله تعالى ومنهم بلال رضي الله عنه فقال المشركون إنما فعل ذلك ليد عنده أي نعمه فهو يكافيه بها فأكذبهم الله في ذلك وأنزل قوله وسيجنبها الأتقى الآيات.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان أن الله تعالى متكفل بطريق الهدى فأرسل الرسل وأنزل الكتاب فأبان الطريق وأوضح السبيل.

٢- بيان أن لله تعالى وحده الدنيا والآخرة فمن أرادهما أو إحداهما فليطلب ذلك من الله تعالى فالآخرة تطلب بالإيمان والتقوى والدنيا تطلب باتباع سنن الله تعالى في الحصول عليها.

٣- بيان فضل أبي بكر الصديق وأنه مبشر بالجنة في هذه الآية الكريمة.

---

(١) الابتغاء الطلب بجد فهو أبلغ من البغي.

(٢) ولسوف يرضى لتحقيق الوعد في المستقبل، إذا اللام لام الابتداء لتأكيد الخبر هذه السورة تحمل معنى جوامع الكلم إذ تضمنت كل ما يرغب فيه الراغبون من الكمال والفوز والفلاح وهي آخر متوسط المفصل.

سُورَةُ الضُّحَىٰ

مكية وآيتها إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا
فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ
﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

والضحى : أي أول النهار ما بين طلوع الشمس وارتفاعها قيد رمح إلى الزوال.

والليل إذا سجى : غطى بظلامه المعمورة وسكن فسكن الناس وخلدوا إلى الراحة.

ما ودعك : أي ما تركك ولا تخلى عنك.

وما قلى : أي ما أبغضك

ألم يجدك يتيما : أي فاقد الأب إذ مات والده قبل ولادته.

فآوى : أي فآواك بأن ضمك إلى عمك أبي طالب.

ووجدك ضالا : أي لا تعرف دينا ولا هدى.

ووجدك عائلا : أي فقيرا.

فأغنى : أي بالقناعة، وبما يسرَّ لك من مال خديجة وأبي بكر الصديق.

فلا تقهر : أي لا تذله ولا تأخذ ماله.

فلا تنهر : أي لا تنهره بزجر ونحوه.

وأما بنعمة ربك فحدث : أي اذكر ما أنعم الله تعالى به عليك شكرا له على ذلك.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿والضحى(١) والليل إذا سجى ما ودعك(٢) ربك وما قلى﴾ هذا قسم من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ أقسم له به على أنه ماتركه ولا أبغضه. وذلك أنه أبطأ عنه الوحي أياما فلما رأى ذلك المشركون فرحوا به وعيَّروه فجاءت امرأة وقالت(٣) له ما أرى شيطانك إلا قد تركك. فحزن لذلك النبي ﷺ فأنزل الله سورة الضحى يقسم له فيها بالضحى وهو أول النهار من طلوع الشمس وارتفاعها قيد رمح إلى ما قبل الزوال بقليل، وبالليل إذا سجى أي غطى بظلامه المعمورة وسكن فسكن الناس وخلدوا إلى الراحة فيه ﴿ما ودعك ربك﴾ يامحمد أي تركك ﴿وما قلى﴾ أي ما أبغضك ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾ أي الدنيا وذلك لما أعد الله لك فيها من الملك الكبير والنعيم العظيم المقيم. وسوف يعطيك ربك من فواضل نعمه حتى ترضى في الدنيا من كمال الدين وظهور الأمر في الآخرة الشفاعة وأن لا يبقى أحد من أمته أهل التوحيد في النار والوسيلة والدرجة الرفيعة التي لا تكون لأحد سواه.

وقوله تعالى ﴿ألم يجدك(٤) يتيماً فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى﴾ هذه ثلاث منن لله تعالى على رسوله منًّها عليه وذكّره بها ليوقن أن الله معه وله وأنه ما تركه ولن يتركه وحتى تنتهي فرحة المشركين ببطء الوحي وتأخّره بضعة أيام. فالمنّة الأولى أن والد النبي ﷺ قد مات عقب ولادته وأمه ماتت بعيد فطامه فآواه ربّه بأن ضمّه إلى عمه أبي طالب فكان أبا رحيما وعما كريما له وحصنا منيعا له، ولم يتخل عن نصرته والدفاع عنه حتى وفاته والثانية منّة العلم والهداية فقد كان ﷺ يعيش في مكة كأحد رجالاتها لا يعرف علما ولا شرعا وإن كان معصوما من مقارفة أي ذنب أو ارتكاب أية خطيئة إلا أنه ما كان يعرف إيمانا ولا إسلاما ولا شرعا كما قال تعالى: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ والثالثة منّته عليه بالغنى بعد الحاجة فقد مات والده ولم يخلّف أكثر من جارية هي بركة أم أيمن وبضعة جمال، فأغناه الله بغنى القناعة فلم يمد يده لأحد قط وكان يقول

---

(١) هذا القسم لتأكيد الخبر الذي حملته الأيات بعده، وكتبت (الضحى) بالألف المقصورة وأصلها الواو فكان المفروض أن تكتب بالألف الثابتة ولم تُكتب بها مراعـاةً للمناسبة مع أكثر الكلمات: سجى وقلى والأولى

(٢) ما ودعك جواب القسم ولم يقرن باللام، لأن الجملة المنفية لا تتطلب اللام. وما قلى معطوفة على ما ودعك ومعنى ما ودعك ما تركك ومعنى وما قلاك ما أبغضك شديد بغض ولا ضعيفه.

(٣) في البخاري عن جندب بن سفيان قال اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة هي أم جميل العوراء امرأة أبي لهب: فقالت يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ولم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثة فأنزل الله والضحى. وقيل لما سئل عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين، فقال سأخبركم غداً ولم يستثنِ فعوتب بانتظار الوحي خمسة عشر يوماً وقال المشركون قلاه. فأنزل الله سورة الضحى.

(٤) الاستفهام للتقرير وكذا الاستفهامات بعده.

[ليس الغني عن كثرة العرض ولكن الغني غني النفس][1] هذه ثلاث منن إلهيّة وما أعظمها والمنة تتطلب شكرا والله يزيد على الشكر ومن هنا أرشد الله تعالى رسوله إلى شكر تلك النعم ليزيده عليها فقال فأما ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾[2] لا تقهره بأخذ ماله أو إذلاله أو أذاه ذاكرا رعاية الله تعالى لك أيام يتمك. ﴿وأما السائل﴾ وهو الفقير المسكين وذو الحاجة يسألك ما يسدّ خلّته فاعطه ما وجدت عطاءً أو رده بكلمة طيبة تشرح صدره وتخفف ألم نفسه ولا تنهره بزجر عنيف ولا بقول غير لطيف ذاكرا ما كنت عليه من حاجة وما كنت تشعر به من احتياج ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾[3] أي اشكر نعمة الإيمان والإحسان والوحي والعلم والفرقان وذلك بالتحدث بها ابلاغا وتعليما وتربية وهداية فذاك شكرها والله يحب الشاكرين هكذا أدّب الله جل جلاله رسوله وخليله فأكمل تأديبه وأحسه

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ الدنيا لا تخلو من كدر وصدق الله العظيم ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾.

٢ـ بيان علو المقام المحمدي وشرف مكانته.

٣ـ مشروعية التذكير بالنعم والنقم حملا للعبد على الصبر والشكر.

٤ـ وجوب شكر النعم بصرفها في مرضاة المنعم عز وجل.[4]

٥ـ تقرير معنى الحديث (إذا أنعم الله تعالى على عبد نعمة أحب أن يرى أثرها عليه)

سورة الشرح

مكية وآياتها ثماني آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي
أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ
مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾

---

(١) مخرج في الصحيحين.

(٢) في الصحيح: أنا وكافل اليتيم له أو لغيره كهاتين.

(٣) روى أبو داود والترمذي وصححه قوله ﷺ لا يشكر الله من لا يشكر الناس.

(٤) في الصحيحين: عن أنس أن المهاجرين قالوا يا رسول الله ذهب الأنصار بالأجر كله قال: لا ما دعوتم لهم وأثنيتم عليهم، هذه الأحاديث دالة على وجوب شكر المنعم عز وجل بحمده والثناء عليه، وأن شكر ذي النعمة من الناس كذلك ولو بالدعاء لـه والثناء عليه.

شرح الكلمات :

ألم : الاستفهام للتقرير أي إن الله تعالى يقرر رسوله بنعمه عليه .

نشرح لك صدرك : أي بالنبوة، وبشقه وتطهيره وملئه إيماناوحكمة .

ووضعنا عنك وزرك : أي حططنا عنك ما سلف من تبعات أيام الجاهلية قبل نبوتك .

الذي أنقض ظهرك : أي الذي أثقل ظهرك حيث كان يشعر ﷺ بثقل السنين التي عاشها قبل النبوة لم يعبد فيها الله تعالى بفعل محابه وترك مكارهه لعدم علمه بذلك .

ورفعنا لك ذكرك : أي أعليناه فأصبحت تذكر معي في الآذان والإقامة والتشهد .

فإن مع العسر يسرا : أي مع الشدة سهولة .

فاذا فرغت : أي من الصلاة .

فانصب : أي اتعب في الدعاء .

وإلى ربك فارغب : أي فاضرع إليه راغبا فيما عنده من الخيرات والبركات .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك﴾[1] هذه ثلاث منن أخرى بعد المنن الثلاث التي جاءت في السورة قبلها منّها الله تعالى على رسوله بتقريره بها فالأولى بشرح صدره ليتسع[2] للوحي ولما سيلقاه من قومه من سيء القول وباطل الكلام الذي يضيق به الإنسان والثانية وضع الوزر عنه فإنه ﷺ وإن لم يكن له وزر حقيقة فإنه كان يشعر بحمل ثقيل من جراء ترك العبادة والتقرب إلى الله تعالى في وقت ما قبل النبوة ونزول الوحي عليه إذ عاش عمرا أربعين سنة لم يعرف فيها عبادة ولا طاعة لله ، أما مقارفة الخطايافقد كان محفوظا بحفظ الله تعالى له فلم يسجد لصنم ولم يشرب خمرا ولم يقل أو يفعل إثما قط . فقد شق صدره وهو طفل في الرابعة من عمره وأخرجت منه العلقة التي هي محطة الشيطان التي ينزل بها من صدر الإنسان ويوسوس بالشر للإنسان والثالثة رفع الذكر أي ذكره ﷺ إذ قرن اسمه باسمه تعالى في التشهد وفي الأذان والإقامة وذلك الدهر كله وما بقيت الحياة . وقوله تعالى ﴿فإن مع العسر

---

(١) ورفعنا لك ذكرك قال مجاهد يعني التأذين، وفيه يقول حسان بن ثابت:

أغـر عليـه للنبوة خاتم   من الله مشهـود يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه   إذا قال المؤذن في الخمس أشهد
وشق له من اسمه ليجله   فذو العرش محمود وهذا محمد

(٢) في الصحيح عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن رجل من قومه أن النبي ﷺ قال فبينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلا يقول أحد الثلاثة إذ كان معه حمزة وابن عمه جعفر فأتيت بطست من ذهب فيها ماء زمزم فشرح صدري إلى كذا وكذا. قال فاستخرج قلبي فغسل قلبي بماء زمزم ثم أعيد مكانه ثم حشي إيماناً وحكمة.

يسرا إن مع العسر يسرا﴾ فهذه بشرى بقرب الفرج له ولأصحابه بعد ذلك العناء الذي يعانون والشدة التي يقاسون ومن ثم بشر ﷺ[1] أصحابه وهو يقول [لن يغلب عسر يسرين لن يغلب عسر يسرين] وقوله ﴿فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب﴾ هذه خطة لحياة المسلم وضعت لنبي الإسلام محمد ﷺ ليطبقها أمام المسلمين ويطبقونها معهم حتى الفوز بالجنة والنجاة من النار وهي فإذا فرغت من عمل ديني فانصب لعمل دنيوي وإذا فرغت من عمل دنيوي فانصب لعمل ديني أخروي فمثلافرغت من الصلاة فانصب نفسك للذكر والدعاء بعدها، فرغت من الصلاة والدعاء فانصب نفسك لدنياك، فرغت من الجهاد فانصب نفسك للحج. ومعنى هذا أن المسلم يحيا حياة الجد والتعب فلا يعرف وقتا للهو واللعب أو للكسل والبطالة قط وقوله إلى ربك فارغب ارغب بعد كل عمل تقوم به في مثوبة ربك وعطائه وما عنده من الفضل والخير إذ هو الذي تعمل له وتنصب من أجله فلا ترغب في غيره ولا تطلب سواه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان ما أكرم الله تعالى به رسوله محمداً ﷺ من شرح صدره ومغفرة ذنوبه ورفع ذكره.

٢ـ بيان أن انشراح صدر[2] المؤمن للدين واتساعه لتحمل الأذى في سبيل الله نعمة عظيمة.

٣ـ بيان أن مع العسر يسرا دائما وأبدا، ولن يغلب عسر يسرين فرجاء المؤمن في الفرح دائم.

٤ـ بيان أن حياة المؤمن ليس فيها لهو ولا باطل ولا فراغ لا عمل فيه أبدا ولا ساعة من الدهر قط وبرهان هذه الحقيقة أن المسلمين من يوم تركوا الجهاد والفتح وهم يتراجعون إلى الوراء في حياتهم حتى حكمهم الغرب وسامهم العذاب والخسف حتى المسخ والنسخ وقد نسخ إقليم الأندلس ومسخت أقاليم في بلاد الروس والصين حتى الأسماء غيّرت.

---

(١) رواه ابن جرير والحديث مرسل وقال ابن مسعود. والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه ولن يغلب عسرٌ يسرين.

(٢) روى الضحاك عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله أيشرح الصدر؟ قال نعم وينفسح قالوا يا رسول الله وهل لذلك علامة؟ قال نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزول الموت.

سُورَةُ التِّينِ

مكية وآياتها ثمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ
﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

شرح الكلمات :

والتين والزيتون : هما المعروفان التين فاكهة والزيتون ما يستخرج منه الزيت.

وطور سينين : جبل الطور الذي ناجى الربّ تعالى فيه موسى عليه السلام.

وهذا البلد الأمين : مكة المكرمة لأنها بلد حرام لا يقاتل فيها فمن دخلها أمن.

لقد خلقنا الإنسان : جنس الإنسان آدم عليه السلام وذريته.

في أحسن تقويم : أي في أجمل صورة في اعتدال الخلق وحسن التركيب.

أسفل سافلين : أي إلى أرذل العمر حتى يخرف ويصبح لا يعلم بعد أن كان يعلم.

أجر غير ممنون : أي غير منقطع فالشيخ الهرم الخرف المسلم يكتب له ما كان يفعله أيام قدرته على العمل فأجره لا ينقطع إلا بموته.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والتين[1] والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين﴾ هذا قسم جليل من أقسام الرب تعالى حيث أقسم فيه بأربعة أشياء وهي التين وهو التين المعروف وهو أشبه شيء بفاكهة الجنة لخلوه من العَجَمِ[2]. وما يوجد بداخل الفاكهة كالنواة ونحوها، والزيتون وهو ذو منافع يؤكل ويدهن به ويستصبح به ويتداوى به كذلك، وبطور سينين وهو جبل سينا في فلسطين إذ تم عليه أكبر

---

(١) عامة أهل السلف ابن عباس وعكرمة ومجاهد وغيرهم أن المراد من التين والزيتون هما المعروفان قال غير واحد هو نبتكم الذي تأكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت.

(٢) العجم ـ النوى.

حدث في تاريخ الحياة وهو أن الله تعالى كلم موسى بن عمران نبي بني اسرائيل عليه عدة مرات وأسمعه كلامه وتجلى للجبل فصار دكا. وبمكة أم القرى التي دحيت الأرض من تحتها وفيها بيت الله وحولها حرمه هذا قسم عظيم وجوابه قوله تعالى ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ ولقد تضمن هذا الجواب لذلك القسم أكبر مظاهر القدرة والعلم والرحمة وهي موجبة للإيمان بالله وتوحيده ولقائه وهو ما كذب به أهل مكة وأنكروه وبيان ذلك أن الإنسان كائن حي مخلوق فخالقه ذو قدرة قطعا وتعديل خلقه بنصب قامته وتسوية أعضائه وحسن سمته وجمال منظره دال على علم وقدرة وهي موجبة للإيمان بالله ولقائه إذ القادر على خلق الإنسان اليوم وقبل اليوم قادر على خلقه غدا كما شاء متى شاء ولا يرد هذا إلا أحمق جاهل، وقوله ثم رددناه أسفل سافلين وذلك بهرم بعض أفراده والنزول بهم إلى ما أسفل من سن الطفولة حيث يصبح الرجل فاقدا لعقله وقواه فيفقد قواه العقلية والبدنية وقوله ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ وهو أن ما كانوا يقومون به من الفرائض والنوافل وسائر الطاعات والقربات لاينقطع أجرهم[1] منها بكبرهم وعدم قيامهم بها في سن الشيخوخة والهرم والخرف بخلاف الكافر والفاجر والفاسق فليس لهم أعمال لاتنقطع إلا من سن منهم سنة سيئة فإن ذنبه لاينقطع ما بقى من يعمل بتلك السنة السيئة. وقوله تعالى ﴿فما يكذبك بعد بالدين[2]﴾ أي فمن يقدر على تكذيبك يارسولنا بعد هذه الآيات والحجج والبراهين الدالة على قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته فمن يكذب بالبعث والجزاء على الكسب الإرادي الاختياري في هذه الحياة من خير وشر فإنه وإن كذب بالدين وهو الجزاء الأخروى على عمل المكلفين في هذه الحياة الدنيا فإن هذا التكذيب قائم على أساس العناد والمكابرة إذ الحجج الدالة على يوم الدين والجزاء فيه تجعل المكذب به مكابرا أو جاحدا لاغير. وقوله تعالى ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين[3]﴾؟ بلى فليس هناك أعدل من الله وأحسن حكما فكيف يظن إذا أن الناس يعملون متفاوتين في أعمالهم في هذه الدنيا ثم يموتون سواء ولاجزاء بعد بالثواب ولا بالعقاب هذا ظلم وباطل ومنكر ينزه الرب عنه سبحانه وتعالى فقضية البعث الآخر لا تقبل الجدل والمماحكة بحال من الأحوال.

(١) صح الحديث أن النبي ﷺ قال إذا سافر العبد أو مرض كتب الله له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً. وعن ابن عمر: طوبى لمن طال عمره وحسن عمله.

(٢) وجائز أن يكون الخطاب للإنسان الكافر توبيخاً له وإلزاماً للحجة أي إذا عرفت أيها الإنسان أن الله خلقك في أحسن تقويم وأنه يردك إلى أرذل العمر فما يحملك على أن تكذب وعليه فالاستفهام توبيخي.

(٣) روي أن ابن عباس وعلياً رضي الله عنهما كانا إذا قرءا أليس الله بأحكم الحاكمين قالا بلى وأنا على ذلك من الشاهدين وروى الترمذي عن أبي هريرة من قرأ سورة والتين والزيتون فقرأ أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ بيان منافع التين والزيتون واستحباب غرس هاتين الشجرتين والعناية بهما.

٢ـ بيان شرف مكة. وحرمها.

٣ـ بيان فضل الله على الإنسان في خلقه في أحسن صورة وأقوم تعديل.

٤ـ تقرير فضل الله على الإنسان المسلم وهو أنه يطيل عمره فإذا هرم وخرف كتب له كل ما كان يعمله من الخير ويجانبه من الشر.

٥ـ مشروعية قول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين بعد قراءة والتين إذ كان النبي ﷺ يقول ذلك.

سُورَةُ العَلَقِ

مكية وآياتها تسع عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ
ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

اقرأ أي أوجد القراءة وهي جمع الكلمات ذات الحروف باللسان.

باسم ربك : أي بذكر اسم ربك.

الذي خلق : أي خلق آدم من سلالة من طين.

خلق الإنسان : أي الإنسان الذي هو ذرية آدم.

من علق : أي جمع علقة وهي النطفة في الطور الثاني حيث تصير علقة أي قطعة من الدم الغليظ.

وربك الأكرم : أي الذي لا يوازيه كريم ولا يعادله ولا يساويه.

الذي علم بالقلم : أي علم العباد الكتابة والخط بالقلم.

علم الإنسان : أي جنس الإنسان.

ما لم يعلم : أي ما لم يكن يعلمه من سائر العلوم والمعارف.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿أقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق أقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسـان ما لـم يعلم﴾ هذه الآيات الخمس من أول ما نزل من القـرآن الكـريم لأحاديث الصحاح[1] فيها فإن مما اشتهر في ذلك أن النبي ﷺ كان يأتي حراء يتحنث فيه أي يزيل الحنث فرارا مما عليه قومه من الشرك والباطل حتى فاجأه الحق وهو في غار حراء فقال يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله ثم قال اقرأ قلت ما أنا بقارىء قال فأخذني فغطني ثلاث مرات حتى بلغ مني الجهد ثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق فقرأت الحديث.

وقوله تعالى ﴿اقرأ باسم ربك﴾ يأمر الله تعالى رسوله أن يقرأ بادئا قراءته بذكر اسم ربّه أي باسم الله الرحمن الرحيم وقوله ﴿الذي خلق﴾ أي خلق الخلق كله وخلق آدم من طين وخلق الإنسان من أولاد آدم من علق والعلق اسم جمـع واحـده علقة وهي[2] قطعة من الدم غليظة كانت في الأربعين يومـا الأولى في الرحم نطفة ثم تطورت إلى علقة تعلق بجدار الرحم ثم تتطور في أربعين يوما إلى مضغة لحم، ثم إما أن يؤذن بتخلقها فتخلق وإما لا فيطرحها الرحم قطعة لحم وقوله ﴿أقرأ وربك﴾ تأكيد للأمر الأول لصعوبة الأمر واندهاش الرسول ﷺ للمفاجأة ﴿اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم﴾[3] أي وربك الأكرم هو الذي علم بالقلم عباده الكتابة والخط. وقوله ﴿علم الإنسان ما لـم يعلم﴾ أي من كرمه الذي أفاض منه على عباده نعمه التي لا تحصى إنه علم الإنسان بواسطة القلم ما لـم يكن يعلم من العلوم والمعارف وهذه إشادة بالقلم وأنه واسطة العلوم والمعارف والواسطة تشرف بشرف الغاية المتوسط لها فلذا كان لا أشرف في الدنيا من عباد الله الصالحين والعلوم الإلهيه في الكتاب والسنة وما دعوا إليه وحضا عليه من العلوم النافعة للإنسان.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ تقرير الوحي الإلهي وإثبات النبوة المحمدية.

٢ـ مشروعية ابتداء القراءة بذكر اسم الله ولذا افتتحت سور القرآن ما عدا التوبة ببسم الله الرحمن الرحيم.

---

(١) منها حديث عائشة : أول ما بدىء به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة فجاءه الملك فقال أقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم. رواه البخاري.

(٢) العلقة الدم الجامد والجمع علق، والعلقة قطعة من دم رطب سميت بذلك لأنها تعلق لرطوبتها بما تمر عليه.

(٣) قيل سمي القلم قلماً لأنه يقلم أي يقطع، ومنه تقليم الظفر صح أن النبي ﷺ قال. أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فكتب ما يكون إلى يوم القيامة فهو عنده في الذكر فوق عرشه.

٣- بيان تطور النطفة في الرحم إلى علقة ومنها يتخلق الإنسان.
٤- اعظام شأن الله تعالى وعظم كرمه فلا أحد يعادله في الكرم.
٥- التنويه بشأن الكتابة والخط بالقلم إذ المعارف والعلوم لم تدون إلا بالكتابة والقلم.
٦- بيان فضل الله تعالى على الإنسان في تعليمه ما لم يكن يعلم بواسطة الكتابة والخط.

كَلَّآ إِنَّ
ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ
ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ
بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن
لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ
﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات:

كلا[1] : أي لا أداة استفتاح وتنبيه لكسر إن بعدها.

إن الإنسان : أي ابن آدم قبل أن تتهذب مشاعره وأخلاقه بالإيمان والآداب الشرعية.

ليطغى : أي يتجاوز الحد المفروض له في سلوكه ومعاملاته.

أن رآه استغنى : أي عندما يرى نفسه قد استغنى بما له أو ولده أو سلطانه.

إن إلى ربك الرجعى : أي إن إلى ربك أيها الرسول الرجعى أي الرجوع والمصير.

الذي ينهى عبدا إذا صلى: أي أبو جهل عمرو بن هشام المخزومي لعنه الله.

إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى : أي هو رسول الله محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي العدناني.

---

(١) كلا الأصل فيها أنها أداة ردع وزجر وذلك إذا تقدمها ما يقتضي ذلك وتكون بمعنى حقاً، وتكون بمعنى الا التي هي أداة استفتاح وتنبيه. وهي هنا تتردد من أمرين بين أن تكون بمعنى حقاً أو بمعنى الا، وذلك لعدم تقدم كلام يقتضي الردع والزجر، لأن الآيات الخمس الأولى نزلت في أول ما نزل وما بعد كلا نزل بعد ذلك بفترة طويلة وجائز أن تكون ردعاً لمن قال قولاً أو عَمِلَ عَمَلاً استحق به ذلك.

إن كذب وتولى	: أي هو أبو جهل .
لئن لم ينته	: أي من أذية رسولنا محمد ﷺ ومنعه من الصلاة خلف المقام .
لنسفعا بالناصية	: أي لنأخذن بناصيته ونسحبه إلى نار جهنم .
فليدع ناديه	: أي رجال مجلسه ومنتداه .
سندع الزبانيه	: أي خزان جهنم .
كلا	: أي ارتدع أيها الكاذب الكافر.
واقترب	: أي منه تعالى وذلك بطاعته .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى إن إلى ربك الرجعى﴾ يخبر تعالى عن طبيعة الإنسان قبل أن يهذّبه الإيمان والمعارف الإلهية المشتملة على معرفة محابّ الله تعالى، ومساخطه أنه إذا رأى نفسه قد استغنى بماله أو ولده أو سلطانه أو بالكُلِّ وما أصبح في حاجة إلى غيره يطغى فيتجاوز حدّ الآداب والعدل والحق والعرف فيتكبر ويظلم ويمنع الحقوق ويحتقر الضعفاء ويسخر بغيره . وأبو جهل كان مضرب المثل في هذا الوصف وصف الطغيان حتى قيل إنه فرعون هذه الأمة ،وها هو ذا رسول الله ﷺ يصلي في المسجد الحرام خلف المقام فيأتيه هذا الطاغية ويهدده ويقول له لقد نهيتك عن الصلاة هنا فلا تعد، ويقول له إن وجدتك مرة أخرى آخذ بناصيتك وأسحبك على الأرض فينزل الله تعالى هذه الآيات ﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾ فيقف برسوله على حقيقة ما كان يعلمها وهي أن ما يجده من أبي جهل وأضرابه من طغاة قريش علته كذا وكذا ويسليه فيقول له وإن طغوا وتجبروا إن مرجعهم إلينا وسوف ننتقم لك منهم ﴿إن إلى ربك﴾ يارسولنا ﴿الرجعى﴾ إذاً فاصبر على أذاهم وانتظر ما سيحل بهم إن مصيرهم إلينا لا إلى غيرنا وسوف ننتقم منهم ثم يقول له قولا يحمل العقلاء على التعجب من سلوك أبي جهل الشائن مع رسول الله ﷺ ﴿أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى﴾؟ وهل الذي يصلي ينهى عن الصلاة وهل الصلاة جريمة وهل في الصلاة ضرر على أحد؟ فكيف ينهى عنها؟ ويقول له ﴿أرأيت إن كان﴾ أي المصلي الذي نهي عن الصلاة وهو الرسول نفسه ﷺ

﴿على الهدى﴾ الموصل إلى سعادة الدنيا والآخرة وكرامتهما؟ ﴿أو أمر بالتقوى﴾ أي أمر غيره بما يتقي به عذاب الدنيا والآخرة، هل الآمر بالهدى والتقوى أي بأسباب النجاة والسعادة يعادي ويحارب؟ ويضرب ويهدد؟ إن هذا لعجب العجاب. ويقول أرأيت يارسولنا إن كذب هذا الذي ينهى عبدا إذا صلى أي كذب بالحق والدين وتولى عن الإيمان والشرع، كيف يكون حاله يوم يلقى ربه؟ ﴿ألم يعلم أن الله يرى﴾ أي يرى أفعاله الاستفزازية المقيتة وتطاوله على رسول الله وتهديده له بالضرب إن وجده يصلي خلف المقام. بعد هذه الدعوة للطاغية لعله يرجع إلى الحق إذا سمعه، وإذا به يزدادا طغيانا ويقول في مجلس قريش يقول واللات والعزى لئن رأيت محمدا ﷺ يُصلي لأطأن على رقبته ولأعفرنّ وجهه على التراب، وفعلا أتى إلى النبي ﷺ وهو يصلي ليطأ على ركبته فإذا به ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه، فقيل له مالك فقال إن بيني وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا وأنزل الله تعالى ﴿كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة خاطئة﴾ أي صاحبها وهو أبو جهل أي لئن لم ينته عن أذية رسولنا وتعرضه له في صلاته ليمنعه منها لنأخذن بناصيته ونجره إلى جهنم عيانا.

﴿فليدع﴾ حينئذ رجال ناديه ومجلس قومه فإنا ندعو الزبانية أي خزنة النار من الملائكة كلا فليرتدع هذا الطاغية وليعلم أنه لن يقدر على أن يصل إلى رسولنا بعد اليوم بأذى.

وقال تعالى لرسوله بعد تهديده للطاغية، وردعه له، وارتدع فعلا ولم يجرؤ بعد ذلك اليوم أن يمدّ لسانه، ولا يده بسوء لرسول الله ﷺ قال لرسوله ﷺ ﴿لا تطعه﴾ فيما يطلب منك من ترك الصلاة في المسجد الحرام فقد كفيناك شره ﴿واقترب﴾[1] إلينا بالطاعات ومن أهمها الصلاة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان سبب نزول الآيات كلا إن الإنسان ليطغى إلى آخر السورة.

٢- بيان طبع الإنسان إذا لم يهذب بالإيمان والتقوى.

٣- نصرة الله لرسوله ﷺ بالملائكة عيانا في المسجد الحرام.

٤- تسجيل لعنة الله على فرعون الأمة أبي جهل وأنه كان أظلم قريش لرسول الله وأصحابه.

٥- مشروعية السجود عند تلاوة هذه السورة إذا قرأ فاسجد واقترب شرع له السجود[2] إلا أن يكون يصلي بجماعة في الصلاة السرية فلا يسجد لئلا يفتنهم.

---

(١) روى أصحاب الصحيح قوله ﷺ أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

(٢) ورد في الذكر حال السجود أن الساجد يقول (سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره بحوله وقوته فتبارك الله أحسن الخالقين. اللهم اكتب لي بها أجراً وامح عني بها وزراً وارفع لي بها ذكرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود).

سُورَةُ القَدْرِ

مكية وآياتها خمس آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾
لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

شرح الكلمات:

إنا أنزلناه : أي القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا.

في ليلة القدر : أي ليلة الحكم والتقدير التي يقضي فيها قضاء السنة كلها.

وما أدراك ما ليلة القدر : أي إن شأنها عظيم.

ليلة القدر خير من ألف شهر: أي العمل الصالح فيها من صلاة وتلاوة قرآن ودعاء خير من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر.

والروح فيها : أي جبريل في ليلة القدر.

بإذن ربهم : أي ينزلون بأمره تعالى لهم بالتنزل فيها.

من كل أمر : أي من كل أمر قضاه الله تعالى في تلك السنة من رزق وأجل وغير ذلك.

سلام هي حتى مطلع الفجر : أي هي سلام من الشر كله من غروب الشمس إلى طلوع الفجر.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿إنا أنزلناه﴾[1] أي القرآن الكريم الذي كذب به المكذبون وأنكره الكافرون يخبر تعالى أن ما يتلوه عبده ورسوله محمد ﷺ هو حق وحي الله وكتابه أنزله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وذلك في ليلة الحكم والقضاء التي يقضي الله فيها ما يشاء من أحداث العالم

---

(١) وجائز أن يطلق لفظ أنزلناه في ليلة القدر على الخمس الآيات التي أنزلت بغار حراء في رمضان وهي اقرأ باسم ربك .. إلى ما لم يعلم أي باعتبار بداية نزوله، وما في التفسير عليه أئمته.

من رزق وأجل وغيرهما إلى بداية السنة الآتية وذلك كل سنة وهذا كقوله ﴿إنا أنزلناه في ليلة[1] مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ إذ ما قضاه الله تعالى وحكم بوجوده قد كتب في اللوح المحفوظ ومنه القرآن الكريم ثم في ليلة القدر تؤخذ نسخة من أحداث السنة فتعطى الملائكة وتنفذ حرفيا في تلك السنة، ولذلك كان لليلة القدر بمعنى التقدير شأن عظيم ففضلها الله على ألف شهر وأخبر عن سبب فضلها أن الملائكة تتنزل فيها وجبريل معهم بإذن ربهم أي ينزلون بإذن الله تعالى لهم وأمره إياهم بالنزول ينزلون مصحوبين بكل أمر قضاه الله وحكم به في تلك السنة من خير وشر من رزق وأجل ولفضل هذه الليلة كانت العبادة فيها تفضل غيرها من نوعها بأضعاف مضاعفة إذ عمل تلك الليلة يحسب لصاحبه عمل ألف ليلة أي ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر. هذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك[2] ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر[3] تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ وقوله ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ أي هي سلام من كل شر إذ هي كلها خير من غروب الشمس إلى طلوع فجرها إنها كلها سلام سلام الملائكة على العابدين من المؤمنين والمؤمنات وسلامة من كل شر. والحمد لله الذي جعلنا من أهلها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير الوحي وإثبات النبوة المحمدية

٢- تقرير عقيدة القضاء والقدر.

٣- فضل ليلة القدر وفضل العبادة فيها.[4]

٤- بيان أن القرآن نزل في رمضان جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأنه ابتدىء نزوله على رسول الله ﷺ في رمضان أيضا.

٥- الندب[5] إلى طلب ليلة القدر للفوز بفضلها وذلك في العشر الأواخر من شهر رمضان وأرجى

---

(١) فاتحة سورة الدخان.

(٢) الاستفهام للتفخيم من شأن ليلة القدر أي أي شيء يعرفك ما هي ليلة القدر ذات الشأن العظيم وإظهار لفظ ليلة القدر بعد وما أدراك ما ليلة القدر دال على الاهتمام بها كقول عدي:

لا أرى الموت يسبق الموت شيء   نغص الموت ذا الغني والفقير

(٣) لحديث مالك في الموطأ سمعت من أثق فيه يقول: إن رسول الله ﷺ أرى أعمار الأمم قبله فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر.

(٤) حديث الصحيحين: من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.

(٥) ارجح الأقوال في ليلة القدر أنها في الوتر من العشر الأواخر من كل عام لحديث الصحيح التمسوها في الوتر من العشر الأواخر وان من صلى العشاء ليلتها في الجماعة ينال فضلها لما قاله مالك في الموطأ وهو قول سعيد بن المسيب (من شهد العشاء من ليلة القدر فقد أخذ بحظه منها ومثله لايدرك بالرأي.

ليلة في العشر الأواخر هي الوتر كالواحدة والعشرين إلى التاسعة والعشرين لحديث الصحيح التمسوها في العشر الأواخر.

٦- استحباب الإكثار من قراءة القرآن وسماعه فيها لمعارضة جبريل الرسول ﷺ القرآن في رمضان مرتين.(١)

سُورَةُ البَيِّنَةِ (٢)

مدنية وآياتها ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ
حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾
فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن
بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ
الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾

شرح الكلمات:

من أهل الكتاب	: أي اليهود والنصارى.
والمشركين	: أي عبدة الأصنام.
منفكين	: أي زائلين عما هم عليه منتهين عنه.
حتى تأتيهم البينة	: أي الحجة الواضحة وهي محمد ﷺ وكتابه القرآن الكريم.
رسول من الله	: أي محمد رسول الله ﷺ.
صحفا مطهرة	: أي من الباطل.

---

(١) معارضة القرآن ثابتة في الصحيح وفضل الدعاء فيها ثابت في الصحيح. قالت عائشة يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر فما أقول؟ قال قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني.

(٢) وتسمى سورة القيّمة ولم يكن، وورد في فضلها حديث الصحيح أن النبي ﷺ قال لأبي بن كعب إن الله أمرني أن أقرأ عليك (لم يكن الذين كفروا) قال وسماني لك؟ قال. نعم. فبكى. وفي هذا الحديث انه لا يأنف الفاضل أن يقرأ القرآن أو يتعلم العلم عن المفضول.

فيها كتب قيمة : أي في تلك الصحف المطهرة كتب من الله مستقيمة.
إلا من بعد ما جاءتهم البينة : أي الرسول محمد ﷺ وكتابه القرآن الكريم.
وما أمروا : أي في كتبهم التوراة والانجيل.
حنفاء : أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الاسلام.
دين القيمة : أي دين الملة القيمة أي المستقيمة.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين﴾ وهم اليهود والنصارى[1] والمشركون هم عباد الأصنام لم يكونوا منفصلين عما هم عليه من الديانة تاركين لها إلى غاية مجيء البيّنة لهم فلما جاءتهم البينة. وهي محمد ﷺ وكتابه انفكوا أي انقسموا[2] فمنهم من آمن بمحمد ﷺ وكتابه والدين الإسلامي ومنهم من كفر فلم يؤمن. وقوله تعالى ﴿رسول من الله﴾ هو محمد ﷺ وقوله ﴿يتلو صحفاً﴾ أي يقرأ على ظهر قلب ما تضمنته تلك الصحف المطهرة من الباطل والمشتملة على كتب[3] من عند الله قيمة أي مستقيمة لا انحراف فيها عن الحق ولا بعد عن الهدى والمراد من الصحف المطهرة القرآن الكريم. وقوله تعالى ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب﴾ أي اليهود والنصارى إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ وهي محمد ﷺ وكتابه إذ كانوا قبل البعثة المحمدية متفقين على انتظار نبيّ آخر الزمان وأنه النبي الخاتم للنبوات فلما جاءهم تفرقوا فآمن بعض وكفر بعض. في حين أنهم ما أمروا في كتبهم وعلى ألسنة رسلهم. وكذا في القرآن وعلى لسان نبيه محمد ﷺ إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام ويقيموا الصلاة بأن يؤدوها في أوقاتها بشروطها وأركانها وآدابها ويؤتوا الزكاة التي أوجب الله في الأموال لصالح الفقراء والمساكين. وذلك دين القيمة أي وهذا هو دين الملة القيمة المستقيمة الموصلة للعبد إلى رضا الرب وجنات الخلد بعد انجائه من العذاب والغضب.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان أن الديانات السابقة للإسلام والتي عاصرته كانت منحرفة اختلط فيها الحق بالباطل ولم

---

(١) قال ابن عباس أهل الكتاب اليهود الذين كانوا بالمدينة وهم قريظة والنظير وبنو قينقاع ولفظ الآية أعم وأشمل إذ تناول اليهود مطلقاً والنصارى كذلك.

(٢) انفك ينفك انفكاكاً مضارع فكه فانفك ومعناه الإزالة والإقلاع أي لم يكونوا مقلعين عَمَّا هُمْ عليه أو زائلين عنه تاركين له منتهين عنه.

(٣) إن قيل الكتب هي التي تشتمل على صحف فكيف يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة؟ والجواب نعم الصحف تكون كتاباً وإذا كثرت كونت كتباً والقرآن العظيم كثرة صحفه كونت كتاباً باعتبار ما حواه من الشارئع والأحكام والقصص والأخبار.

تصبح صالحة للإسلام والهداية البشرية ولا فرق بين اليهودية والنصرانية والمجوسية.

٢ـ إن أهل الكتاب بصورة خاصة كانوا منتظرين البعثة المحمدية بفارغ الصبر لعلمهم بما أصاب دينهم من فساد، ولما بعث رسول الله ﷺ وجاءتهم البينة على صدقه وصحة ما جاء به تفرقوا فآمن البعض[1] وكفر البعض.

٣ـ مما يؤخذ على اليهود والنصارى أنهم في كتبهم مأمورون بعبادة الله تعالى وحده والكفر بالشرك مائلين عن كل دين إلى دين الإسلام ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فما بالهم لما جاءهم الإسلام بمثل ما أمروا به كفروا به وعادوه. والجواب انهم لما انحرفوا عز عليهم أن يستقيموا لما ألفوا من الشرك والضلالة والباطل.

٤ـ بيان أن الملّة القيمة والدين المنجي من العذاب المحقق للاسعاد والكمال ما قام على أساس عبادة الله وحده وأقام الصلاة وايتاء الزكاة والميل عن كل دين إلى هذا الدين الإسلامي.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

شرح الكلمات:

إن الذين كفروا من أهل الكتاب	: أي بالإسلام ونبيه وكتابه هم اليهود والنصارى.
أولئك هم شر البرية	: أي شر الخليقة.
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات	: أي آمنوا بالإسلام ونبيه وكتابه وعملوا الصالحات.
أولئك هم خير البرية	: أي هم خير الخليقة.
جنات عدن	: أي بساتين اقامة دائمة.
رضي الله عنهم	: أي بطاعته.
ورضوا عنه	: أي بثوابه.

(١) شاهده قوله تعالى: فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به أي كفر من كفر منهم الآية من سورة البقرة.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿إن الذين كفروا من[1] أهل الكتاب والمشركين﴾ إنه بعد أن بين الدين الحق المنجي من العذاب والموجب للنعيم وهو الدين الإسلامي اخبر تعالى أن من كفر به من أهل الكتاب ومن المشركين هم في نار جهنم خالدين فيها هذا حكم الله فيهم لكفرهم بالحق واعراضهم عنه بعد ما جاءتهم البيّنة وعرفوا الطريق وتنكبوه رضا بالباطل واقتناعا بالكفر والشرك بدل الإيمان والتوحيد هؤلاء الكفرة الفجرة هم شر الخليقة كلها. وهو معنى قوله ﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم[2] شر البرية﴾ كما أخبر تعالى بأن جزاء من آمن بالله ورسوله وعمل بالدين الإسلامي فأدى الفرائض واجتنب النواهي وسابق في الخيرات والصالحات هؤلاء هم[3] خير البرية إذ قال تعالى ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ وقوله ﴿جزاؤهم عند ربهم﴾ أي جزاء أولئك الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ وما جاء به من الهدى والدين الحق أولئك هم خير الخليقة وقوله ﴿جزاؤهم عند ربهم﴾ أي يوم يلقونه وذلك بعد الموت ﴿جنات عدن﴾ أي بساتين إقامة دائمة خالدين فيها أبدا أي لايخرجون منها ولا يموتون أبدا وقوله ﴿رضي[4] الله عنهم ورضوا عنه﴾ أي رضى الله عنهم بسبب إيمانهم وطاعتهم ورضوا عنه بسبب ماوهبهم وأعطاهم من النعيم المقيم في دار السلام وقوله تعالى ﴿ذلك لمن خشي[5] ربه﴾ أي ذلك الجزاء المذكور وهو جزاء عظيم إذ جُمع لأهله فيه بين سعادة الروح وسعادة البدن معا هو جزاء عبد خاف ربه فلم يعصه حتى لقيه بعد موته وإن عصاه يوما تاب وإن أخطأ رجع حتى مات وهو على الطاعة لا على المعصية.

---

(١) كفروا أي من بعد ما جاءتهم البينة من الطوائف الثلاثة حكم الله تعالى فيهم بأنهم شر الخليقة فَهُمْ شر من القردة والخنازير وأخبث أنواع الحيوان كالحيات والثعابين لأنهم كفروا بربهم وفسقوا من أمره واستوجبوا لعنته وعذابه فكانوا بذلك شر البرية.

(٢) البرية الخليقة إذ هي من بَرَأ إذا خلق والباري الخالق وأصل البرية: البريئة قلبت الهمزة ياء وأدغمت في الياء فصارت البرية بياء مشددة وقرأ نافع البرئة مهموزا على الأصل وخففها حفص فقرأ البرية كالخلية وزناً.

(٣) أي في حكم الله وقضائه وحصلت لهم الخيرية بإيمانهم بربهم واستقامتهم على منهج شرعه فكملوا في أرواحهم وأخلاقهم وتهيأ للملكوت الأعلى فكانوا بذلك خير البرية اللهم اجعلنا منهم.

(٤) قول البعض رضي أعمالهم هروبا من عقيدة السلف والا فالآية نَصٌّ في رضاه تعالى عنهم وان كانت الأعمال سببا في رضاه إذ الأعمال طهرت نفوسهم وزكت أرواحهم فاستحقوا رضى الله فرضي عنهم ورضى الله أكبر من نعيم الجنة كقوله تعالى ورضوان من الله أكبر.

(٥) الخشية الموجبة لهذا النعيم المقيم هي ثمرة العلم إذ لا خشية بلا علم قال تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء فلذا وَجَبَ طلبُ العلم وهو العلم بالله ومحابه ومكارهه ووعده ووعيده إذ هذا هو العلم الذي يثمر الخشية.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان جزاء من كفر بالإسلام من سائر الناس وأنه بئس الجزاء.

٢ـ بيان جزاء من آمن بالإسلام ودخل فيه وطبق قواعده واستقام على الأمر والنهي فيه وهو نعم الجزاء رضى الله والخلود في دار السلام.

٣ـ فضل الخشية إن حملت صاحبها على طاعة الله ورسوله فأطاعهما بأداء الفرائض وترك المحرمات في الاعتقاد والقول والعمل.

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ (١)

مدنية وآياتها ثماني آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا
﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾
بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا
لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

شرح الكلمات:

إذا زلزلت الأرض : أي حركت لقيام الساعة.

وأخرجت الأرض أثقالها : أي كنوزها وموتاها فألقتها وتخلت.

مالها : أي وقال الكافر ما لها أي أي شيء جعلها تتحرك هذه الحركة.

تحدث أخبارها : أي تخبر بما وقع عليها من خير وشر وتشهد به لأهله.

أوحى لها : أي بأن تحدث أخبارها فحدثت.

يصدر الناس أشتاتا : أي من موقف الحساب.

(١) وتسمى سورة الزلزال لوجود لفظ الزلزال فيها وهو قوله إذا زلزلت الأرض زلزالها، واشتهرت بسورة الزلزلة وهي تسمية بالمعنى إذ ليس فيها لفظ الزلزلة. ورد أنها تعدل ربع القرآن أو نصفه والحديث ضعيف.

ليروا أعمالهم	: إي جزاء أعمالهم إما إلى الجنة وإما إلى النار.
مثقال ذرة	: زنة نملة صغيرة.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾[1] أي تحركت حركتها الشديدة لقيام الساعة وأخرجت الأرض أثقالها من كنوز وذلك في النفخة الأولى، وأموات وذلك في النفخة الثانية ففي الإخبار اجمال إذ المقصود تقرير البعث والجزاء ليعمل الناس بما ينجيهم من النار ويدخلهم الجنة. وقوله ﴿وقال الإنسان مالها؟﴾[2] لا شك أن هذا الإنسان السائل كان كافرا بالساعة ولذا تساءل أما المؤمن فهو يعلم ذلك لأنه جزء من عقيدته. وقوله تعالى ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾[3] أي تخبر بما جرى عليها من خير وشر بلسان القال أو الحال. وهي في هذا الإخبار مأمورة لقوله تعالى ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ أي بذلك وقوله ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتا﴾[4] أي يوم تزلزل الأرض وتهتز للنفخة الثانية نفخة يصدرالناس فيها أشتاتاً أي يصدرون من ساحة فصل القضاء فمن آخذ ذات اليمين ومن آخذ ذات الشمال ليروا أعمالهم أي جزاء أعمالهم في الدنيا من حسنة وسيئة فالحسنة تورث الجنة والسيئة تورث النار. وقوله تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا﴾[5] أي وزن ذرة من خير في الدنيا يثب عليه في الآخرة ومن يعمل مثقال ذرة أي وزن ذرة من شر في الدنيا يجز به في الآخرة إلا أن يعفو الجبار عز وجل وبما أن الكفر مانع من دخول الجنة فإن الكافر إذا عمل حسنة في الدنيا يرى جزاءها في الدنيا، وليس له في الآخرة شيء منها وذلك لحديث عائشة رضي الله عنها إذ سألت الرسول ﷺ عن عبدالله بن جدعان هل ينفعه في الآخرة ما كان يفعله في الدنيا من إطعام الحجيج وكسوتهم فقال لها. لا إنه لم يقل يوما من الدهر ربِّ اغفرلي خطيئتي يوم الدين. كما أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يأكل مع الرسول ﷺ ونزلت هذه الآية فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الآية فرفع أبو بكر يده من الطعام وقال إني لراء ما عملت من خير وشر؟ فقال

(١) اضافة الزلزال إلى ضمير الأرض لإفادة تمكنه منها وللإشارة إلى هوله وفظاعته لما عرف الناس من أهوال الزلزال إذا وقع والزلزال بكسر الزاء مصدر وبفتحها اسم مصدر. وهو مأخوذ من الزلل وهو زلق الرجلين. فلما قصدوا شدة الزلل ضاعفوا الفعل فقالوا في زل زلزل كما قالوا في كبه كبكبه.

(٢) مالها استفهام ناشيء عن دهشة وحيرة للمفاجأة. أي ما للأرض زلزلت هذا الزلزال.

(٣) روى الترمذي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية (يومئذ تحدث أخبارها) فقال أتدرون ما أخبارها؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، وتقول عمل يوم كذا وكذا فهذه أخبارها وجملة (يومئذ تحدث) جواب الشرط (إذا زلزلت).

(٤) الأشتات جمع شت بمعنى متفرقين جماعات جماعات أصحاب يمين وأصحاب شمال.

(٥) يحكى أن اعرابياً أخَر (خيراً يره) فقيل له قدمت وأخرت فقال:

خذا بطن هَرْشَى أو قفاها فإنه ... كلا جانبي هرشى لهن طريق

وفات الأعرابي أن تقديم لفظ الخير تنويه به وبأهله ولذا قدم في الآية.

النبي ﷺ إن ما ترى مما تكره فهو من مثاقيل ذرّ شرٍّ كثير، ويدخر الله لك مثاقيل الخير حتى تعطاه يوم القيامة وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- الإعلام بالانقلاب الكوني الذي تتبدل فيه الأرض غير الأرض والسموات غير السموات.

٣- تكلم الجمادات من آيات الله تعالى الدالة على قدرته وعلمه وحكمته وهي موجبات ألوهيته بعبادته وحده دون سواه.

٤- تقرير حديث الصحيح اتقوا النار ولو بشق تمرة.(١)

٥- الكافر عمله الخيري ينفعه في الدنيا دون الآخرة.

٦- المؤمن يجزي(٢) بالسيئة في الدنيا ويدخر له صالح عمله للآخرة.

سورة العاديات

مكية وآياتها إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

والعاديات : أي والخيل تعدو في الغزو.

(١) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة. رواه البخاري وفي الموطأ أن مسكيناً استطعم عائشة أم المؤمنين وبين يديها عنب فقالت لإنسان خذ حبة فأعطه إياها، فجعل ينظر إليها ويعجب، فقالت أتعجب؟ كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة؟

(٢) شاهده حديث أبي بكر السالف الذكر.

ضبحا : أي تضبح ضبحا والضبح صوت الخيل إذا عدت أي جرت.

فالموريات قدحا : أي الخيل توري النار بحوافرها إذا سارت بالليل.

فالمغيرات صبحا : أي الخيل تغير على العدو صباحا.

فأثرن به نقعا : هيجن به أي بمكان عدوها نقعا أي غبارا.

فوسطن به جمعا : أي بالنقع جمع العدو أي حيث تجمعاته.

لكنود : لكفور بجحد نعمه تعالى عليه.

لشهيد :أي يشهدعلى نفسه بعمله.

وإنه لحب الخير : أي المال.

إذا بعثر : أي أثير وأخرج ما في القبور.

وحصل ما في الصدور : بيّن وأفرز ما في الصدور من الإيمان والكفر.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿والعاديات ضبحا﴾[1] الآيات إلى قوله ﴿أفلا يعلم﴾ تضمنت قسما إلهيا عظيما على حقيقة كبرى يجهلها كثير من الناس وهي كفر الإنسان لربه ولنعمه عليه يعـد المصائب وينسى النعم والفواضل وهذا بيان ما أقسم تعالى به وهو العاديات ضبحاً وهي الخيل[2] تضبح أي تخرج صوتا خاصا غير الصهيل المعروف فالموريات قدحا أي الخيل توري النار بحوافرها إذا مشت فوق الحجارة ليلا ويدخل ضمن هذا كل قادحة للنار فالمغيرات صبحا أي جماعات الخيل يركبها فرسانها للإغارة على العدو بها صباحا. وقوله فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا أي فأثارت الخيل النقع وهو الغبار والتراب عند سيرها بفرسانها فتوسطت جمع العدووكتائبه لقتال أعداء الله الكافرين بالله وآياته ولقائه المفسدين في الأرض بالشرك والمعاصي هذا ما أقسم الله تعالى به وهو الخيل ذات الصفات الثلاث: العدو والإوراء والإغارة والمقسم عليه قوله ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ المراد من الإنسان الكافر والجاهل بربّه تعالى الذي لم تتهذب روحه بمعرفة الله ومحابه ومكارهه ولم يزك نفسه بفعل المحاب وترك المكاره هذا الإنسان أقسم تعالى على أنه كفور لربه تعـالى ولنعمه عليه أي شديد الكفر كثيره بذكر المصائب ويشعر بها ويصرخ لها ويصر عليها وينسى النعم والفواضل عليه فلا يذكرها ولا يشكر الله تعالى عليها. فالكنود الكفور.[3] وقوله تعالى

(١) الأفراس تعدو (القرطبي). تضبح أي تحمحم إذا عدت وأصل الضبح والضباح للثعالب كالنبح والنباح للكلاب.

(٢) يروى عن النبي ﷺ انه قال في العاديات أنها الإبل تعدو في الحج من عرفة إلى مزدلفة وإلى منى إلا أن الخيل أولى بهذه الصفات.

(٣) فسر السلف الكنود بالهلوع والجحود والجهول والحقود والمنوع، وفعله كند يكند كنوداً من باب دخل يدخل دخلا أي كفر النعمة وجحدها.

وإنه على ذلك لشهيد أي وإن الله تعالى على هذا الوصف في الإنسان لشهيد فأخبر تعالى بما علمه من الإنسان وشهد به عليه كما أن الإنسان شهيد بأعماله وصنائع أقواله وأفعاله شهيد على نفسه بالكفر والجحود. وقوله وإنه لحب الخير لشديد هذا مما أقسم تعالى عليه أيضا وهو وصف للإنسان الكنود وهو انه شديد حب المال وسمّي المال خيرا تسمية[1] عرفية إذ تعارف الناس على ذلك كما أنه خير من حيث أنه يحصل به الخير الكثير إذا أنفق في مرضاة الله تعالى.

وقوله تعالى ﴿أفلا يعلم[2] إذا بعثر ما في القبور وحصل[3] ما في الصدور إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾ أي أيكفر الإنسان بربه ويجحد نعمه عليه وإحسانه إليه ويحب المال أشد الحب فيمنع حقوق الله فيه ويكتسبه مما حرم الله عليه وقوله تعالى ﴿أفلا يعلم إذا بعثر[4] ما في القبور﴾ أي بعثرت القبور وأخرج ما فيها من البشر للحساب والجزاء ووقفوا بين يدي الله تعالى وأفرز وبيّن ما كان خفيا في الصدور من الاعتقادات والنيات الصالحة والفاسدة ولا يخفى على الله تعالى منهم شيء حيث[5] ﴿إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾ كما هو اليوم خبير إلا أنها ساعة الحساب والمجازاة فذكر فيها علم الله تعالى وخبرته بالظواهر والبواطن والضمائر والسرائر فلا يخفى على الله من ذلك شيء وسيتم الجزاء العادل بحسب هذا العلم وتلك الخبرة الإلهية. فلو علم الكفور من الناس المحب للمال هذا وأيقنه لعدّل من سلوكه وأصلح من اعتقاده ومن أقواله وأعماله فالآيات دعوة إلى مراقبة الله تعالى بعد الإيمان والاستقامة على طاعته.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ الترغيب في الجهاد والإعداد له كالخيل أمس، ونفاث الطائرات اليوم.

٢ـ بيان حقيقة وهي أن الإنسان كفور لربه ونعمه عليه يذكر المصيبة إذا أصابته وينسى النعم التي غطته إلا إذا آمن وعمل صالحا.

---

(١) شاهده قوله تعالى: إن ترك خيراً فللوالدين الآية. وقال عدي:

ماذا تُرجي النفوس من طلب الخيـــــر وحبّ الحياة كا ربها

كا ربها غامّها من الكرب الذي هو الغم.

(٢) الهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء للتفريع، والمفعول محذوف لتذهب النفس في طلبه مذاهب تقديره أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور العذاب الذي هو جزاء الكفر والجحود والبخل.

(٣) حصل معناه جمع وأحصى أو جمع وعد ليحاسب العبد عليه.

(٤) بعثر أي قلب من أسفل إلى علو، والمراد إحياء ما في القبور من الأموات.

(٥) هذه الجملة مستأنفة علة لتحقيق الجزاء وإثباته ذلك الجزاء الذي يحصل يوم خروج الناس من قبورهم وحسابهم على أعمالهم.

٣ـ بيان أن الإنسان يحب المال حبا شديدا إلا إذا هذّب بالإيمان وصالح الأعمال.

٤ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

سُورَةُ القَارِعَةِ

مكية وآيتها احدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ
﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾
وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا
مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ
﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ
﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

شرح الكلمات:

القارعة : القيامة وسميت القارعة لأنها تقرع القلوب بأهوالها.

ما القارعة : أي أي شيء هي ؟ فالاستفهام للتهويل من شأنها.

وما أدراك ما القارعة: زيادة في تهويل أمرها وتعظيمه.

كالفراش المبثوث : أي كغوغاء الجراد المنتشر يموج بعضهم في بعض.

كالعهن المنفوش: أي كالصوف المندوف هذه حالها أولا ثم تكون كثيبا مهيلا ثم تكون هباء منبثا.

في عيشة راضية : أي يرضاها صاحبها في الجنة فهي مرضية له.

فأمه هاوية : أي مأواه ومسكنه الهاوية التي يهوي فيها على رأسه وهي النار.

نار حامية : أي هي نار حامية.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿القارعة﴾[1] إلى آخر السورة الكريمة تضمنت آياتها الإحدى عشرة آية وصفاً لعقيدة البعث والجزاء التي كذب بها المشركون وأنكروها وبالغوا في انكارها فأخبر تعالى أن القيامة التي تقرع الناس بأهوالها وعظائم ما يجري فيها بحيث يكون الناس وهم أشرف الكائنات الأرضية يكونون في خفة أحلامهم وحيرة عقولهم كالفراش المبثوث وهو غوغاء الجارد وتجمعه وتراكمه وانتشاره وهو يموج بعضه فوق بعض. وتكون الجبال على رسوها وعلوها وضخامة ذواتها كالعهن المنفوش أي كالصوف المندوف بالمنداف وهو يتطاير هنا وهناك. هذا في أول الأمر وقد تكون كالرمل المتهيل. ثم كالهباء المنبث فإذا بعثوا ووقفوا بين يدي ربهم لحسابهم ومجازاتهم ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ أي موازين حسناته فقد نجا من النار وهو ﴿في عيشة راضية﴾ أي مرضية له وهو بها راض وكيف لا وهي الجنة دار النعيم المقيم. ﴿ومن خفت موازينه﴾ أي قلت حسناته وكثرت سيئاته أوْ لَمْ يكن له حسنة بالمرة كأهل الكفر والشرك ﴿فأمه هاوية﴾[2] أي فأمه التي تضمه إليها وتؤيه عندها هاوية بحيث يهوى فيها على أم رأسه وقوله تعالى ﴿وما أدراك ما هي؟﴾ أي هي ﴿نار حامية﴾[3] هذا الاستفهام للتهويل من شأنها وهي كذلك لا أشد هولا منها إنها النار دار البوار والخسران أعاذنا الله تعالى منها وعتق رقابنا منها اللهم آمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر صورة صادقة لها.

٢ـ التحذير من أهوال يوم القيامة وعذاب الله تعالى فيها.

٣ـ تقرير عقيدة وزن الأعمال صالحها وفاسدها وترتيب الجزاء عليها.

٤ـ تقرير أن الناس يوم القيامة فريقان فريق في الجنة وفريق في السعير.

---

(١) القارعة مبتدأ (ما) اسم استفهام مبتدأ ثان القارعة خبره والجملة خبر عن المبتدأ الأول والاستفهام للتهويل من شأنها والتفخيم لأمرها. وجملة ما أدراك ما القارعة تضمنت استفهاماً آخر للتهويل من شأنها أيضاً كالتأكيد للأول والظرف يوم يكون مفعول فيه أي تكون أو تحصل يوم يكون الناس كالفراش.

(٢) سميت النار اما لأهلها لأنهم يؤوون إليها كما يأوي الأبن إلى أمه قاله ابن زيد ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

فالأرض مَعْقلنا وكانت أمّنا   فيها مقابرنا وفيها نولد

(٣) في مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم، قالوا والله إن كانت لكافية يارسول الله، قال فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها.

سورة التكاثر (1)

مكية وآياتها ثماني آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ
تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ
عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا
عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

شرح الكلمات :

ألهاكم : أي شغلكم عن طاعة الله تعالى .

التكاثر : أي التباهي بكثرة المال.

حتى زرتم المقابر : أي تشاغلتم بجمع المال والتباهي بكثرته حتى متم ونقلتم إلى المقابر.

كلا : أي ما هكذا ينبغي أن تفعلوا فارتدعوا عن هذا التكاثر.

سوف تعلمون : أي إذا دخلتم قبوركم علمتم خطأكم في التكاثر في الأموال والأولاد.

كلا : أي حقا.

لو تعلمون علم اليقين : أي علما يقينيا عاقبة التكاثر لما تفاخرتم بكثرة أموالكم.

لترون الجحيم : أي النار.

يومئذ : أي يوم ترون الجحيم عين اليقين.

عن النعيم : أي تنعمتم به وتلذذتم من الصحة والفراغ والأمن والمطاعم والمشارب.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ألهاكم التكاثر﴾ (2) هذا خطاب الله تعالى للمشتغلين بجمع المال وتكثيره للمباهاة به

---

(1) إلا البخاري فإنه يرى أنها مدنية والصحيح أنها مكية ولعل البخاري تأثر بما رواه من أن النبي ﷺ قال لأبي بكر في بستان ابن تيهان إن هذا من النعيم الذي تسألون عنه.

(2) ألهاكم شغلكم قال امرؤ القيس:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع ... فالهيتها عن ذي تمائم محول

أي شغلتها.

والتفاخر الأمر الذي ألهاهم عن طاعة الله ورسوله فماتوا ولم يقدموا لأنفسهم خيراً فقال تعالى لهم ألهاكم أي شغلكم التكاثر أي في الأموال للتفاخر بها والمباهاة بكثرتها ﴿حتى زرتم المقابر﴾[1] أي بعد موتكم نقلتم إليها لتبقوا فيها إلى أن تخرجوا منها للحساب والجزاء أي يوم القيامة. وقوله لهم ﴿كلا﴾ أي ما هكذا ينبغي أن تفعلوا فارتدعوا عن هذا السلوك المفضي بكم إلى الهلاك والخسران. سوف تعلمون عاقبة تشاغلكم عن طاعة الله وطاعة رسوله والتزود للدار الآخرة ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾[2] كرّر الوعيد والتهديد. وقوله ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾[3] أي[4] حقا لو تعلمون ما تجدونه في قبوركم ويوم بعثكم ونشوركم لما تشاغلتم بالأموال وتكاثرتم فيها. وقوله ﴿لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين﴾ هذا جواب قسم نحو وعزتنا لترون الجحيم أي النار وذلك يوم القيامة المشرك يراها ويصلاها والمؤمن يراها وينجيه الله تعالى منها. ثم لترونها عين اليقين أي الأمر الذي لا شك فيه إذ يؤتى بجهنم فيراها أهل الموقف أجمعون وقوله ﴿ثم لتسألن يومئذ﴾ أي يوم ترون الجحيم عين اليقين ﴿عن النعيم﴾[5] الذي كان لكم في الدنيا من صحة وفراغ وأمن وطعام وشراب. فمن أدى شكره نجا، ومن لم يؤد شكره أخذ به ولا يعفى إلا عن ثوب يستر العورة وكسرة خبز تسد الجوعة وجحر يكن من الحر والبرد وقد صح أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمرو ابن التيهان [هذا من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة يشير إلى بسر ورطب وماء بارد] وصح أيضا [انه لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم انفقه؟]

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ التحذير من جمع المال وتكثيره مع عدم شكره وترك طاعة الله ورسوله من أجله.

---

(١) في صحيح مسلم عن مطرف عن أبيه قال أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ ألهاكم التكاثر، قال: يقول ابن آدم: مالي مالي وهل لك يا بن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس. وروى البخاري قوله ﷺ لو أن لابن آدم وادياً من ذهب لأحب أن يكون له واديان ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب.

(٢) هذه الجملة توكيد للأولى وهي سوف تعلمون، ومفعول تعلمون محذوف تقديره تعلمون سوء مغبة لهوكم بالتكاثر مشغولين عن طاعة الله ورسوله مشغولين بجمع الأموال والتكاثر بها.

(٣) جواب لو تعلمون علم اليقين محذوف كما حذف الأول تقديره لتبين لكم حال مفظع عظيم والإضافة في علم اليقين إضافة بيانية لأن اليقين علم.

(٤) وجائز أن تكون كلاهما كالأولى للردع والزجر وكونها بمعنى حقاً أولى.

(٥) اختلف في تحديد النعيم المذكور الذي نسأل عنه يوم القيامة فقيل له الأمن والصحة وقيل الصحة والفراغ، وقيل شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن. وفي البخاري عن النبي ﷺ قال نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ.

٢ـ إثبات عذاب القبر وتأكيده بقوله حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون أي في القبر.

٣ـ تقرير عقيدة البعث وحتمية الجزاء بعدالحساب والاستنطاق والاستجواب.

٤ـ حتمية سؤال العبد عن النعم التي أنعم الله تعالى عليه بها في الدنيا فإن كان شاكرا لها فاز وإن كان كافرا لها أخذ والعياذ بالله.

سورة العصر

مكية وآياتها ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

شرح الكلمات:

والعصر : أي الدهر كله.

إن الإنسان : أي جنس الإنسان كله.

لفي خسر : أي في نقصان وخسران إذ حياته هي رأس ماله فإذا مات ولم يؤمن ولم يعمل صالحا خسر كل الخسران.

وتواصوا بالحق : أي أوصى بعضهم بعضا باعتقاد الحق وقوله والعمل به.

وتواصوا بالصبر : أي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على اعتقاد الحق وقوله والعمل به.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿والعصر﴾[1] الآيات الثلاث تضمنت هذه الآيات حكما ومحكوما عليه ومحكوما به فالحكم هو ما حكم به تعالى على الإنسان[2] كل الإنسان من النقصان والخسران والمحكوم عليه هو الإنسان أبن آدم والمحكوم به هو الخسران لمن لم يؤمن ويعمل صالحا والربح والنجاة من الخسران لمن آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فقوله تعالى ﴿والعصر﴾

---

(١) ذكر أهل التفسير في تحديد كلمة العصر أقوالاً منها أنها صلاة العصر لأنها الصلاة الوسطى، ومنها عصر النبي ﷺ وما في التفسير أعم وأولى.

(٢) الإنسان (أل) فيه لاستغراق الجنس إلا أنه خاص بالموجودين في زمن النزول للآية ومن بلغته الدعوة الإسلامية، أما من كانوا قبل نزول الآية وظهور الإسلام فلا يدخلون في عموم لفظ الإنسان ولو قيل بالعموم لكان حقاً أيضاً.

هو قسم أقسم الله به والعصر هو الدهر كله ليله ونهاره وصبحه ومساؤه وجواب القسم قوله تعالى ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ أي نقصان وهلكة وخسران إذ يعيش في كَبَدٍ ويموت إلى جهنم فيخسر كل شيء حتى نفسه التي بين جنبيه وقوله ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فهؤلاء استثناهم الله تعالى من الخسر فهم رابحون غير خاسرين وذلك بدخولهم الجنة دار السعادة والمراد من الإيمان الإيمان بالله ورسوله وما جاء به رسوله من الهدى ودين الحق والمراد من العمل الصالح الفرائض والسنن والنوافل،وقوله ﴿وتواصوا بالحق﴾ أي باعتقاده وقوله والعمل به وذلك باتباع الكتاب والسنة، وقوله ﴿وتواصوا بالصبر[1]﴾ أي أوصى بعضهم بعضا بالحق اعتقادا وقولا وعملا وبالصبر على ذلك حتى يموت أحدهم وهو يعتقد الحق ويقول به ويعمل بما جاء فيه فالإسلام حق والكتاب حق والرسول حق فهم بذلك يؤمنون ويعملون ويتواصون بالثبات على ذلك حتى الموت.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ فضيلة سورة العصر لاشتمالها على طريق النجاة في ثلاث آيات حتى قال الإمام الشافعي لو ما أنزل الله تعالى على خلقه حجة إلا هذه السورة لكفتهم.

٢ـ بيان مصير الإنسان الكافر وأنه الخسران التام.

٣ـ بيان فوز أهل الإيمان والعمل الصالح المجتنبين للشرك والمعاصي.

٤ـ وجوب التواصي بالحق والتواصي بالصبر بين المسلمين.

سُورَةُ الهُمَزَةِ

مكية وآياتها تسع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ
عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾

(١) حقيقة الصبر منع المرء نفسه مما هو مناف لطاعة الله ورسوله فعلا أو تركاً.

شرح الكلمات:

ويل لكل همزة لمزة : كلمة يطلب بها العذاب وواد في جهنم الهمزة كثير الهمز واللمزة كذلك وهم الطعانون المظهرون العيوب للإفساد.
جمع مالا وعدده : أي أحصاه وأعده لحوادث الدهر.
يحسب أن ماله أخلده : أي يجعله خالدا في الحياة لا يموت.
كلا : أي ليس الأمر كما يزعم ويظن.
لينبذن : أي ليطرحن في الحطمة.
في الحطمة : أي النار التي تحطم كل ما يلقى فيها.
تطلع على الأفئدة : أي تشرف على القلوب فتحرقها.
مؤصدة : أي مغلقة مطبقة.
في عمد ممددة : أي يعذبون في النار بأعمدة ممدة.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿ويل لكل همزةلمزة﴾[1] يتوعد الربّ تبارك وتعالى بواد في جهنم يسيل بصديد أهل النار وقيوحهم كل همزة لمزة[2] أي كل مغتاب عيّاب ممن يمشون بالنميمة ويبغون للبراء العيب وقوله ﴿الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده﴾ هذا وصف آخر لتلك الهمزة اللمزة وهو أنه ﴿جمع مالا﴾ كثيرا من حرام وحلال ﴿وعدده﴾ أي أحصاه وعرف مقداره وأعده لحوادث الدهر كما يزعم. ﴿يحسب أن ماله أخلده﴾ أي يظن أنه لا يموت لكثرة أمواله ومتى كان المال ينجي من الموت؟ إنه الغرور في الحياة، لو كان المال يُخلد أحدا لأخلد قارون، وقوله تعالى ﴿كلا﴾[3] لايخلده ماله بل وعزتنا وجلالنا ﴿لينبذن﴾[4] أي يطرحن ﴿في الحطمة﴾ النار المستعرة التي تحطم كل ما يلقى فيها وقوله تعالى ﴿وما أدراك ما الحطمة﴾[5] هذا الاستفهام لتعظيم أمرها وتهويل شأنها، وبيّنها تعالى بقوله ﴿نار الله الموقدة﴾ أي المستعرة المتأججة، ﴿التي تطلع على

---

(١) قال ابن عباس هم المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب.
(٢) قال عطاء بن أبي رياح: الهمزة الذي يغتاب ويطعن في وجه الرجل، واللمزة الذي يغتابه من خلفه إذا غاب قال حسان:
همزتك فاختضعت بذل نفس   بقافية تأجج كالشواظ
(٣) كلا رد لما توهمه الكافر وردع له وزجر على اعتقاده وقوله إذ كلاهما فاسد باطل.
(٤) اللام موطئة للقسم.
(٥) الحطمة دركة من درك النار قيل انها الثانية وقيل الرابعة أو هي اسم من أسماء جهنم.

الأفئدة﴾ أي تشرف على القلوب فتحرقها، وقوله تعالى ﴿إنها عليهم مؤصَدة﴾[1] أي إن النار على أولئك الهمازين اللمازين مطبقة مغلقة الأبواب وقوله تعالى ﴿في عمد ممددة﴾ أي يعذبون في النار بعمد ممددة، والله أعلم كيف يكون تعذيبهم[2] بها إذ لم يطلعنا الله تعالى على كيفيته.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ـ التحذير من الغيبة والنميمة.

٣ـ التنديد بالمغترين بالأموال المعجبين بها.

٤ـ بيان شدة عذاب النار وفظاعته.

سُورَةُ الفِيلِ

مكية وآياتها خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ
فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم
بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾

شرح الكلمات:

ألم تر كيف فعل ربك : أي ألم ينته إلى علمك فعل ربك بأصحاب الفيل.

بأصحاب الفيل : أي محمود وهي أكبرها ومعه اثنا عشر فيلا وصاحبها أبرهة.

ألم يجعل كيدهم : أي في هدم الكعبة.

في تضليل : أي في خسار وهلاك.

أبابيل : أي جماعات جماعات.

من سجيل : أي طين مطبوخ.

---

(١) يقال آصدت الباب إذا أغلقته قاله مجاهد ومنه قول الشاعر (الرقيات)

إن في القصر لو دخلنا غزالا مصفقا موصداً عليه الحجاب

فمصفقاً وموصداً بمعنى واحد وهو مغلق.

(٢) في عمد أي موثقين في عمد كما يوثق المسجون المغلظ عليه من رجليه في فلقة ذات ثقب يدخل في رجليه والعمد اسم جمع عمود، والعمود خشبة والممددة المجعولة طويلة جداً.

كعصف مأكول : أي كورق زرع أكلته الدواب وداسته بأرجلها.

معنى الآيات:

قولـه تعالى ﴿ألم تر[1] كيف فعل ربك بأصحاب الفيل[2]﴾ إلى قوله ﴿مأكول﴾ هي خمس آيات تضمنت الحديث عن حادث جلل وقع أمام[3] ولادة النبي ﷺ وخلاصته أن أبرهة الأشرم والي اليمن من قبل ملك الحبشة قد رأى أن يبني بيتا في صنعاء اليمن يدعو العرب إلى حجه بدل حجهم البيت الحرام والقصد من ذلك تحويل التجارة والمكاسب من مكة إلى اليمن وعرض هذا على الملك الحبشي فوافق وسره ذلك ولما بني البيت «الكنيسة» وسماها القُلَّيْس لم يبن مثلها في تاريخها جاء رجل قرشي فتغوط فيها ولطخ جدرانها بالعذرة غَضَباً منه، وذهب فلما رآها أبرهة الأشرم بتلك الحال استشاط غيظا وجهز جيشا لغزو مكة وهدم الكعبة وكان معه ثلاثة عشر فيلا ومن بينها فيل يدعى محمود وهو أكبرها وساروا ما وقف في وجههم حي من أحياء العرب إلا قاتلوه وهزموه حتى انتهوا إلى قرب مكة وجرت سفارة بينهم وبين شيخ مكة عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ وانتهت المفاوضات بأن يرد أبرهة إبل عبدالمطلب ثم هو وشأنه بالكعبة وأمر رجال مكة أن يخلو البلد ويلتحقوا برؤوس الجبال بنسائهم وأطفالهم خشية المعرة تلحقهم من الجيش الغازي والظالم، وما هي إلا أن تحرك جيش أبرهة ووصل إلى وادي محسر وهو في وسط الوادي سائر وإذا بفرق من الطير فرقة بعد أخرى ترسل على ذلك الجيش حجارة الواحدة ما بين الحمصة والعدسة في الحجم وما تسقط الحجرة على رجل إلا ذاب وتناثر لحمه فهلكوا وفر ابرهة ولحمه يتناثر فهلك في الطريق وكانت هذه نصرة من الله لسكان حرمه وحماة بيته ومن ثم ما زالت العرب تحترم الكعبة والحرم وسكانه إلى اليوم. وقوله تعالى ﴿ألم تر كيف﴾ يخاطب تعالى رسوله مذكراً إياه بفعله الجبار في إهلاك الجبابرة فأين قوة ظلمة قريش كالعاص بن وائل وعمرو بن هشام والوليد وعقبة من قوة ابرهة وأبادها الله تعالى في ساعة فاصبر يا محمد ولا تحمل لهؤلاء الأعداء هما فإن لهم ساعة فكانت السورة عبارة عن ذكرى للعظة والاعتبار. وهذا شرح الآيات ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ أي ألم ينته إلى علمك فعل ربك بأصحاب الفيل. ﴿ألم يجعل كيدهم في تضليل﴾ أي ألم يجعل ما كادوه لبيتنا وحرمنا في خسارة وضلال فلم يجنوا إلا الخزي والدمار ﴿وأرسل عليهم طيراً أبابيل﴾ أي جماعات جماعات كانت تشاهد وهي

---

(١) الاستفهام تقريري والمخاطب هنا رسول الله ﷺ بلا خلاف (وكيف) جائز أن تكون مجردة عن الاستفهام وهي في محل نصب على المفعول به لتر.

(٢) الفيل أنثاه فيلة ويجمع على أفيال وفيول وفيلة، وصاحبه فيال.

(٣) إذ ولد ﷺ عام الفيل أي بعد حادثة الفيل بخمسين يوماً.

تخرج من البحر يشاهدها رجال مكة المعتصمون بقمم الجبال إذ تمر فوقهم وهي تحمل حجارة من سجيل[1] كل طائر يحمل ثلاثة أحجار كالحمصة والعدسة واحدة بمنقاره واثنتين بمخلبيه كل واحدة في مخلب ترميهم بها فتتفتت لحومهم وتتناثر فجعلهم كعصف مأكول أي كزرع دخلته ماشية فأكلت عصفه أي ورقه وكسرت قائمه وهشمته فكانت آية من آيات الله تعالى .

هداية الآيات :

من هداية الآيات

١ـ تسلية رسول الله ﷺ عما يلاقيه من ظلم كفار قريش .

٢ـ تذكير قريش بفعل الله عز وجل تخويفا لهم وترهيبا .

٣ـ مظاهر قدرة الله تعالى في تدبيره لخلقه وبطشه بأعدائه .

سُورَةُ قُرَيْشٍ

مكية وآياتها أربع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

شرح الكلمات :

لإيلاف : الإيلاف مصدر آلف الشيء يؤالفه إيلافا إذا اعتاده وزالت الكلفة عنه والنفرة منه .

قريش[2] : هم ولد النضر بن كنانة وهم قبائل شتى .

---

(١) حجارة من طين طبخت من نار جهنم وسجيل أصلها سجين بالنون فابدلت لاما كما أبدلت في أصيلان بأصيلال قال الشاعر:

ورَجْلَة يضربون البيضَ عن عُرُض ضرباً تَواصت به الأبطال سجينا

(٢) قريش لقب الجد الذي يجمع بطون قريش كافة وهو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. وأما ما فوق فهر فهم من كنانة ولقب بقريش تصغير قرش بفتح القاف وسكون الراء والنسبة إليه قرشي وهل اشتقاق قرش من التقريش الذي هو الاكتساب أو التجمع أو نسبة إلى القرش وهو سمكة بحرية قوية والنسبة إلى قرش قرشي وقريش تصرف إن أريد الحي وتمنع إن أريد القبيلة ورجح القرطبي أن يكون قريش بن النضر بن كنانة. فكل من كان من ولد النضر فهو قرشي ورجحه للحديث: (إنا ولد النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا) وبالتأمل لا توجد منافاة إذ قبائل قريش تعود إلى النضر بن كنانة .

رحلة الشتاء : أي إلى اليمن.

والصيف : أي إلى الشام.

فليعبدوا : أي إن لم يعبدوا الله لسائر نعمه فليعبدوه لتحبيب هاتين الرحلتين اليهم.

ربّ هذا البيت : أي مالك البيت الحرام وربّ كل شيء.

الذي أطعمهم من جوع : أي من أجل البيت الحرام.

وآمنهم من خوف : أي من أجل البيت الحرام.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿لإيلاف قريش﴾[1] هذا الجار والمجرور متعلق بكلام قبله وهو فعلت ما فعلت بأصحاب الفيل لإيلاف قريش رحلتيهم، أو أعجبوا لإيلاف قريش رحلتهم والرحلتان هما رحلة في الشتاء إلى اليمن، ورحلة في الصيف إلى الشام وذلك للاتجار وجلب الأرزاق إلى بلادهم التي ليست هي بذات زرع ولا صناعة فإيلافهم هاتين الرحلتين كان بتدبير الله تعالى ليعيش سكان حرمه وبلده في رغد من العيش فهي نعمة من نعم الله تعالى وعليه ﴿فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوع﴾[2] بما هيأ لهم من أسباب ﴿وآمنهم من خوف﴾ كذلك ولم يعدلون عن عبادته إلى عبادة الأصنام والأوثان فالله أحق أن يعبدوه إذ هو الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف بما ألقى في قلوب العرب من احترام الحرم وسكانه وتعظيمه وتعظيمهم فتمكنوا من السفر إلى خارج بلادهم والعودة إليها في أمن وطمأنينة قال تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماللناس أي لقريش تقوم مصالحهم عليها لما ألقى في قلوب العرب[3] من تعظيم واحترام أهله.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ مظاهر تدبير الله تعالى وحكمته ورحمته فسبحانه من إله حكيم رحيم.

(١) الإيلاف مصدر آلف يؤلف إيلافاً قال الشاعر:

المنعمين إذ النجوم تغيرت والظاعنين لرحلة الإيلاف

وأما ألفه يألفه إلفاً والافا، فقد قرأ به أبو جعفر لإلف قريش، وقد جمع بين المصدرين الشاعر في قوله

أزعمتم ان إخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم إلاف

ولام الجر في متعلقها ثلاثة احتمالات ذكر في التفسير منها اثنان، والثالث انها متعلقة بـ فليعبدوا: كأنه قال آلف الله قريشاً إيلافاً فليعبدوا رب هذا البيت، ويقدر شرط محذوف أي إذا كان الأمر كذلك فليعبدوا، ويرجح الأول لمصحف أبي بن كعب، إذ لم يفصل فيه بين السورتين. وكذا قراءة عمر إذ صلى المغرب يوماً فقرأ في الأولى بالتين وفي الثانية بالفيل وقريش ولم يفصل بينهما بالبسملة، ولا مانع منه وهو أوضح.

(٢) إنما هي استجابة الله دعوة إبراهيم: رب اجعل هذا البلد آمنا وارزق أهله من الثمرات.

(٣) مصداق قوله تعالى: أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا.

٢ـ بيان إفضال الله تعالى على قريش وإنعامه عليها الأمر الذي تطلّب شكرها ولم تشكر فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بتركها للشكر.

٣ـ وجوب عبادة الله تعالى وترك عبادة من سواه.

٤ـ وجوب الشكر على النعم وشكرها حمدا لله تعالى عليها والثناء عليه بها وصرفها في مرضاته.

٥ـ الاطعام من الجوع والتأمين من الخوف عليهما مدار كامل أجهزة الدولة فأرقى الدول اليوم وقبل اليوم لم تستطع أن تحقق لشعوبها هاتين النعمتين نعمة العيش الرغد والأمن التام.

سُورَةُ المَاعُونِ

مكية الأوائل مدنية الأواخر

وآياتهاتسع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى
يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾
فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ
﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

شرح الكلمات:

أرأيت الذي يكذب بالدين : أي هل عرفته والدين ثواب الله وعقابه يوم القيامة.

فذلك الذي يدع اليتيم : أي فهو ذلك الذي يدفع اليتيم عن حقه بعنف.

ولا يحض على طعام المسكين: أي لا يحض نفسه ولا غيره على إطعام المساكين.

فويل للمصلين : أي العذاب الشديد للمصلين الساهين عن صلاتهم.

عن صلاتهم ساهون : أي يؤخرونها عن أوقاتها.

يراءون : أي يراءون بصلاتهم وأعمالهم الناس فلم يخلصوا لله تعالى في ذلك.

ويمنعون الماعون : أي لا يعطون من سألهم ماعوناً كالأبرة والقدر والمنجل ونحوه مما ينتفع به ويرد بعينه كسائر الأدوات المنزلية.

معنى الآيات:[1]

قوله تعالى ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين[2] فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين﴾ هذه الآيات الثلاث نزلت بمكة في العاص بن وائل والوليد بن المغيرة وأضرابهم من عتاة قريش وكفارها فهذه الآيات تُعرِّض بهم وتندد بسلوكهم وتوعدهم فقوله تعالى ﴿أرأيت﴾ يارسولنا الذي يكذب بالدين وهو الجزاء في الآخرة على الحسنات والسيئات فهو ذاك الذي يدع اليتيم أي يدفعه بعنف عن حقه ولا يعطيه إياه احتقارا له وتكبرا عليه ولا يحض على طعام المسكين أي ولا يحث ولا يحض نفسه ولا غيره على إطعام الفقراء والمساكين وذلك ناتج عن عدم إيمانه بالدين أي بالحساب والجزاء في الدار الآخرة وهذه صفة كل ظالم مانع للحق لا يرحم ولا يشفق إذ لو آمن بالجزاء في الدار الآخرة لعمل لها بترك الشر وفعل الخير فمن أراد أن يرى مكذبا بالدين فإنه يراه في الظلمة المعتدين القساة القلوب الذين لا يرحمون ولا يعطون ولا يحسنون وقوله تعالى ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون﴾ هذه الآيات الأربع نزلت في بعض منافقي المدينة النبوية فلذا نصف السورة مكي ونصفها مدني﴾ وقوله تعالى ﴿فويل للمصلين[3] الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ هذا وعيد شديد لهم إذ الويل واد في جهنم يسيل من صديد أهل النار وقيوحهم وهو أشد العذاب إذ كانوا يغمسون فيه أو يطعمون ويشربون منه. ومعنى عن صلاتهم ساهون انهم غافلون عنها لا يذكرونها فكثيرا ما تفوتهم ويخرج وقتها وأغلب حالهم أنهم لا يصلونها إلا عند قرب خروج وقتها هذا وصف وآخر انهم ﴿يراءون﴾ بصلاتهم وبكل أعمالهم أي يصلون وينفقون ليراهم المؤمنون فيقولوا انهم مؤمنون وبالمراءاة يدرءون عن أنفسهم القتل والسبي وثالث أنهم ﴿يمنعون الماعون﴾ فإذا استعارهم مؤمن ماعونا للحاجة به لا يعيرون ويعتذرون بمعاذير باطلة فلا يعيرون فأسا ولا منجلا ولا قدرا ولا أية آنية أو ماعون لأنهم يبغضون المؤمنين ولا يريدون أن ينفعوهم بشيء فيحرمونهم من إعارة شيء ينتفعون به ويردونه عليهم.

---

(١) الاستفهام للتعجب هنا من حال المكذبين بالجزاء وما أورثهم التكذيب من سوء الصنيع قرأ نافع أرأيت بتسهيل الهمزة بعد الراء ألفاً وحقّقها حفص والجمهور.

(٢) في الكلام حذف تقديره أرأيت الذي يكذب بالدين. أمصيب هو أم مخطيء والجواب قطعاً مخطيء وخطأه كفره وشركه وعداوته للإسلام ونبيه وأهله وجزاؤه سيكون جحيماً وعذاباً أليماً وإذا كان هذا العذاب بسبب كفره وأذاه للمؤمنين إذاً فويل للمنافقين المصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين يراءون ويمنعون الماعون لظلمة قلوبهم بالكفر والشرك الذي يخفونه.

(٣) الفاء للتفريع والترتيب والتسبب. والسؤال: على أي شيء تفرع ما بعدها على ما قبلها. والآيات نزلت بالمدينة في المنافقين وما قبلها نزل في المشركين في مكة؟ والجواب تقدم في رقم (٢) قبل هذا الرقم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ـ أيما قلب خلا من عقيدة البعث والجزاء إلا وصاحبه شر الخلق لا خير فيه البتة.

٣ـ التنديد بالذين يأكلون أموال اليتامى ويدفعونهم عن حقوقهم استصغارا لهم واحتقارا.

٤ـ التنديد والوعيد للذين يتهاونون بالصلاة ولا يبالون في أي وقت صلوها وهو من علامات النفاق والعياذ بالله.

٥ـ منع الماعون من صفات المنافقين والمانع لما المسلمون في حاجة إليه ليس منهم لحديث من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم فكيف بالذي يمنعهم ما هو فضل عنده وهم في حاجة إليه؟

سُورَةُ الكَوْثَرِ(١)

مكية وآياتها ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

شرح الكلمات:

إنا أعطيناك الكوثر : أي إنا ربُّ العزة والجلال وهبناك يا نبينا الكوثر أي نهراً في الجنة.

فصل لربك وانحر : أي فاشكر ذلك بصلاتك لربك المنعم عليك وحده وانحر له وحده.

إن شانئك : أي مبغضك.

هو الأبتر : أي الأقل الأذل المنقطع عقبه.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿إنا أعطيناك الكوثر(٢) فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر﴾ هذه الآيات الثلاث

(١) وتسمى سورة النحر.

(٢) روى مسلم عن أنس بن مالك قال بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه وقال أنزلت علي آنفاً سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم (إنا أعطيناك الكوثر فصلّ لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر)، ثم قال أتدرون من الكوثر؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة وظاهر هذه الرواية ان سورة الكوثر مدنية ولا مانع من نزولها مرتين مرة بمكة وأخرى بالمدينة.

مختصة برسول الله ﷺ إذ هو المخاطب بها وأنها تحمل طابع التعزية لرسول الله ﷺ فقد روي أنه لما مات ابن النبي ﷺ القاسم قال العاص بن وائل السهمي بتر محمذ أو هو أبتر أي لا عقب له بعده فأنزل الله تعالى هذه السورة تحمل الرد على العاص والتعزية للرسول ﷺ والبشرى له ولأمته بالكوثر الذي هو نهر في الجنة حافتاه من الذهب ومجراه على الدر والياقوت وتربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج ، ومن الكوثر يملأ الحوض الذي في عرصات القيامة ولا يرده إلا الصالحون من أمته ﷺ. فقوله تعالى ﴿إنا أعطيناك﴾ أي خصصناك بالكوثر[1] الذي هو نهر في[2] الجنة من أعظم أنهارها مع الخير الكثير الذي وهبه الله تعالى لك من النبوة والدين الحق ورفع الذكر والمقام المحمود وقوله ﴿فصل لربك وانحر﴾[3] أي فاشكر هذا الإنعام بأن تصلي لربك وحده ولا تشرك به غيره وكذا النحر فلا تذبح لغيره تعالى وفي هذا تعليم لأمته وهل المراد من الصلاة صلاة العيد والنحر الأضحية لا مانع من دخول هذا في سائر الصلوات والنسك وقوله تعالى إن شانئك هو الأبتر[4] أي إن مبغضك في كل زمان ومكان هو الأقل الأذل المنقطع النسل والعقب.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ بيان إكرام الله تعالى لرسوله محمد ﷺ.

٢ـ تأكيد أحاديث الكوثر وأنه نهر في الجنة.

٣ـ وجوب الإخلاص في العبادات كلها لاسيما الصلاة والنحر.

٤ـ مشوعية الدعاء على الظالم.

---

(١) لفظ الكوثر يطلق عربيّة على الخير الكثير كما هي صيغة فوعل نحو النوفل من النفل والجوهر من الجهر والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد والقدر كوثراً والكوثر الذي أعطيه النبي ﷺ نهر في الجنة كما في البخاري والنبوة والكتاب والعلم والحكمة.

(٢) في حديث البخاري دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء فإذا مسك أظفر قلت ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذي أعطاك الله عز وجل.

(٣) في الآية دليل على وجوب تقديم صلاة العيد على النحر وهو ما عليه جمهور الفقهاء وجائز أن يكون المراد من صل لربك وانحر أي صل صلاة الصبح بمزدلفة وانحر هديك بمنى.

(٤) الأبتر حقيقته: المقطوع بعضه وغلب على المقطوع ذنبه من الدواب ويستعار لمن نقص منه ما هو من الخير في نظر الناس تشبيه بالدواب المقطوع أذنابها ومنه الخطبة البتراء التي لم يحمد فيها الله ولم يُصلِّ فيها على نبيه محمد ﷺ.

سُورَةُ الكَافِرُونَ

مكية وآياتها ست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾
وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾
وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

شرح الكلمات:

قل : أي يارسول الله.

يا أيها الكافرون : أي المشركون وهم الوليد والعاص وابن خلف والأسود بن المطلب.

لا أعبد ما تعبدون : أي من الآلهة الباطلة الآن.

ولا أنتم عابدون ما أعبد : أي الآن.

ولا أنا عابد ما عبدتم : أي في المستقبل أبدا.

ولا أنتم عابدون ما أعبد : أي في المستقبل أبدا لعلم الله تعالى بذلك.

لكم دينكم : أي ما أنتم عليه من الوثنية سوف لا تتركونها أبدا حتى تهلكوا.

ولي دين : أي الإسلام فلا أتركه أبدا.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿قل يا أيها الكافرون﴾[1] الآيات الست الكريمات نزلت ردا على اقتراح تقدم به بعض المشركين وهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي، والأسود بن المطلب وأمية بن خلف مفاده أن يعبد النبي ﷺ معهم آلهتهم سنة ويعبدون معه إلهه سنة مصالحة بينهم وبينه وإنهاء للخصومات في نظرهم، ولم يجبهم الرسول ﷺ بشيء حتى نزلت هذه السورة ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ أي قل يارسولنا لهؤلاء المقترحين الباطل يا أيها الكافرون بالوحي الإلهي وبالتوحيد

---

(١) ورد في فضل هذه السورة أنها تعدل ربع القرآن كسورة الزلزلة والنصر وصح عن النبي ﷺ أنه كان يقرؤها في الشفع في الركعة الثانية ويقرأ في الأولى بالأعلى، وصح أنه كان يقرأ بها وبالصمد في ركعتي الطواف.

المشركون في عبادة الله تعالى أصناما وأوثانا ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾[1] الآن كما اقترحتم ﴿ولا أنتم عابدون﴾ الآن ﴿ما أعبد﴾ لما قضاه الله لكم بذلك، ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ في المستقبل أبدا ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ في المستقبل أبدا لأن ربي حكم فيكم بالموت على الكفر والشرك حتى تدخلوا النار لما علمه من قلوبكم وأحوالكم وقبح سلوككم وفساد أعمالكم ﴿لكم دينكم﴾ لا أتابعكم عليه ﴿ولي دين﴾[2] لا تتابعونني عليه. بهذا أيأس الله رسوله من إيمان هذه الجماعة التي كان النبي ﷺ بطمع في إيمانهم وَأيأس المشركين من الطمَع في موافقة الرسول ﷺ على مقترحهم الفاسد، وقد هلك هؤلاء المشركون على الكفر فلم يؤمن منهم أحد فمنهم من هلك في بدر ومنهم من هلك في مكة على الكفر والشرك وصدق الله العظيم فيما أخبر به عنهم أنهم لا يعبدون الله عبادة تنجيهم من عذابه وتدخلهم رحمته.

هـ.ـاية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر وأن الكافر من كفر أزلا والمؤمن من آمن أزلا.

٢ـ ولاية الله تعالى لرسوله عصمته من قبول اقتراح المشركين الباطل.

٣ـ تقرير وجود المفاصلة بين أهل الإيمان وأهل الكفر والشرك.

سُورَةُ النَّصْرِ

مدنية وآياتها ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

---

(١) التكرار الموجود في الآية المراد منه التأكيد الذي يحمل المقترحين على اليأس من قبول الرسول ﷺ اقتراحهم بعبادة آلهتهم معهم سنة وهذا التكرار وارد في سورة الرحمن وسورة المرسلات، والتكرار شائع في لغة العرب من ذلك قول الرسول ﷺ فلا آذن ثم لا آذن إنما فاطمة بضعة مني (مسلم) وقال الشاعر:

يالبكر انشروا لي كليباً   يالبكر أين أين الفرار

وقال آخر:

ياعَلْقمة ياعلقمة ياعلقمة   خيرَ تَميم كلها وأكرمهْ

(٢) حذفت ياء الضمير تخفيفاً من ولي دين وبه قرأ جمهور القراء.

شرح الكلمات:

إذا جاء نصر الله : أي نصر الله نبيه محمداً ﷺ على أعدائه المشركين.

والفتح : أي فتح مكة.

في دين الله أفواجا : أي في الإسلام جماعات جماعات.

فسبح بحمد ربك : أي نزهه عن الشريك ملتبسا بحمده.

واستغفره : أي أُطلب منه المغفرة توبة منك إليه.

معنى الآيات:[1]

قوله تعالى ﴿إذا جاء نصر الله﴾[2] الآيات الثلاث المباركات نزلت في أخريات أيام الرسول ﷺ وهي تحمل علامة للنبي ﷺ على قرب أجله فقوله تعالى ﴿إذا جاء نصر الله﴾ أي لك يارسولنا فأصبحت تنتصر على أعدائك في كل معركة تخوضها معهم وجاءك الفتح فتح مكة ففتحها الله عليك وأصبحت دار إسلام بعد أن كانت دار كفر[3]، ﴿ورأيت الناس﴾ من سكان اليمن وغيرهم ﴿يدخلون في﴾ دينك الدين الإسلامي ﴿أفواجا﴾ وجماعات جماعة بعد أخرى بعد أن كانوا يدخلون فرادى واحدا واحدا وهم خائفون إذا تم هذا ورأيته ﴿فسبح بحمد ربك﴾[4] شكرا له على نعمة النصر والفتح ودخول الناس في دينك وانتهاء دين المشركين الباطل. ﴿واستغفره﴾ أي اطلب منه المغفرة لما فرط منك مما هو ذنب في حقك لقربك وكمال علمك وأما غيرك فليس هو بالذنب الذي يُسْتَغْفَرُ منه ويُتَابُ إلى الله تعالى منه وقوله تعالى ﴿إنه كان توابا﴾ أي إن الله تعالى الذي أمرك بالاستغفار توبة إليه كان توابا على عباده يقبل توبتهم فيغفر ذنوبهم ويرحمهم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ مشروعية نعي الميت إلى أهله ولكن بدون إعلان وصوت عال.

---

(١) الإجماع على أن آخر سورة نزلت جميعاً هي سورة النصر هذه قاله ابن عباس كما في صحيح مسلم.

(٢) النصر: العون مأخوذ من قولهم نصر الغيث الأرض إذا أعان نباتها ومنع من قحطها قال الشاعر:

إذا انسلخ الشهر الحرام فودعي بلاد تميم وانصري ارض عامر

(٣) روي أن العرب قالت: أما إذا ظفر محمد بأهل الحرم وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان، فكانوا يسلمون أفواجاً أمة أمة، والأمة أربعون رجلا.

(٤) روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ يكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب اليه: قالت فقلت يا رسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده، استغفر الله وأتوب إليه: قال خبرني ربي اني سأرى علامة في أمتي فإذا رأيتها اكثرت من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه فقد رأيتها: إذا جاء نصر الله والفتح.. الخ. وصح أنه كان ﷺ يقول في ركوعه، سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي.

٢ـ وجوب الشكر عند تحقق النعمة ومن ذلك سجدة الشكر.

٣ـ مشروعية قول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي في الركوع.

سُورَةُ المَسَد

مكية وآياتها خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا
كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ
حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

شرح الكلمات:

تبت يدا أبي لهب: أي خسرت يدا أبي لهب بن عبدالمطلب أي خسر عمله.

وتب : أي خسر هو بذاته إذ هو من أهل النار.

ما أغنى عنه ماله: أي أي شيء أغنى عنه ماله لما سخط الله تعالى عليه وعذبه في الدنيا والآخرة.

وما كسب : أي من المال والولد وغيرها.

سيصلى نارا : أي يدخل نارا يصطلي بحرها ولفحها.

ذات لهب : أي توقد واشتعال.

وامرأته : أي أم جميل العوراء.

حمالة الحطب : أي تحمل شوك السعدان وتلقيه في طريق النبي ﷺ أذية له وكرها.

في جيدها : أي في عنقها.

حبل من مسد : أي من ليف.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ الآيات الخمس المباركات نزلت ردا على أبي لهب عم النبي ﷺ إذ صح أنه لما نزلت آية ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ من سورة الشعراء طلع ﷺ إلى جبل الصفا ونادى: واصباحاه واصباحاه فاجتمع الناس حوله فقال لهم إني لكم نذير بين يدي عذاب شديد: قولوا لا إله إلا الله كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم. فنطق أبو لهب فقال:

ألهذا جمعتنا تبا لك طول اليوم فأنزل الله[1] تعالى رداً عليه ﴿تبت يدا أبي لهب﴾[2] أي خسر أبو لهب وخسر كل شيء له وهذه جملة دعائية ولذا هلك بمرض[3] خطير لم يتمكنوامن غسله فأراقوا عليه الماء، فقط وقوله ﴿وتب﴾ إخبار من الله تعالى بهلاك عبدالعزى أبي لهب وقوله ﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾[4] أي لما سخط الله عليه وادخله ناره لم يغن عنه أي لم يدفع عنه العذاب ماله ولا ولده. وقوله تعالى ﴿سيصلى نارا ذات لهب﴾ أي تَوَقُّدٍ وتأَجُّجٍ. ﴿وامرأته﴾ أم جميل العوراء ﴿حمالة الحطب﴾[5] حيث كانت تأتي بشوك السعدان وتضعه في طريق النبي ﷺ عند ذهابه إلى صلاة الصبح بالمسجد الحرام. وقوله تعالى ﴿في جيدها حبل من مسد﴾ أي في عنقها[6] حبل من ليف النخل أو مسد شجر الدوم بهذا حكم الله تعالى على أعدائه وأعداء رسوله ﷺ.

هداية

من هداية الآيات:

١ـ بيان حكم الله بهلاك أبي لهب وإبطال كيده الذي كان يكيده لرسول الله ﷺ.

٢ـ لا يغني المال ولا الولد عن العبد شيئا من عذاب الله إذا عمل بمساخطه وترك مراضيه.

٣ـ حرمة أذية المؤمنين مطلقا.

٤ـ عدم إغناء القرابة شيئا مع الشرك والكفر إذ أبو لهب عم النبي ﷺ وهو في النار ذات اللهب.

---

(١) صح أنه لما سمعت امرأة أبي لهب ما نزل فيها وزوجها من القرآن أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر رضي الله عنه وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليه أخذ الله بصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت يا أبا بكر أين صاحبك قد بلغني أنه يهجوني. والله لو وجدته لضربته بهذا الفهر، والله إني لشاعرة: مذمما عصينا وأمره أبينا، ثم انصرفت فقال أبو بكر يا رسول الله أما تراها رأتك؟ قال: ما رَأَتْني لقد أخذ الله بصرها عني.

(٢) سمي أبو لهب بأبي لهب وكان اسمه عبدالعزى فسمي باللهب لحسنه وإشراق وجهه. وقال العلماء سمي بأبي لهب لمعانٍ أربع والذي أراه أنه سمي بقضاء وقدر أبا لهب ليكون من أهل النار نظيره اختيار الشيوعيين اليوم شعار الحمرة، وكلمة اليسار، لما سبق أنهم أهل النار وأصحاب الشمال وهم أهل النار.

(٣) يسمى المرض الذي أصابه الله به مرض العدسة فمات وأقام ثلاثة أيام لم يدفن حتى انتن ثم إن ولده غسلوه بالماء من بعيد مخافة عدوى العدسة؟ إذ كانت العرب تتقي هذا المرض كما يتقى الطاعون.

(٤) الكسب يكون حلالا ويكون حراماً وخيره ما كان حلالا، وفي الصحيح حديث عائشة رضي الله عنها إذ قالت قال رسول الله ﷺ إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه رواه أبو داود.

(٥) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي كانت تمشي بالنميمة بين الناس، تقول العرب فلان يحطب على فلان إذا ورش عليه أي حرش. قال الشاعر:

إن بني الأدرم حَمَّالوا الحطب   هم الوشاة في الرضا وفي الغضب

ولا منافاة مع ما روي أنها كانت تحمل حزمة الشوك إذ هي تفعل هذا أو ذاك.

(٦) الجيد العنق شاهده قول الشاعر:

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش   إذا هي نصته ولا بمعطل

الريم: الظبي الأبيض الخالص البياض. ونصته: رفعته، . والمعطل الذي لا حلي عليه.

سُورَةُ الإِخْلَاصِ

مكية وآياتها أربع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ
وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

شرح الكلمات:

قل هو الله أحد : أي قل لمن سألك يانبينا عن ربك هو الله أحد.

الله الصمد : أي الله الذي لا تنبغي العبادة إلا له ، الصمد: السيد الذي يصمد إليه في الحوائج. فهو المقصود في قضاء الحوائج على الدوام.

لم يلد : أي لا يفنى إذ لا شيء يولد إلا وهو فان بائد لامحالة.

ولم يولد : أي ليس بمحدث بأن لم يكن فكان فهو كائن أولا وأبدا.

ولم يكن له كفوا أحد : أي لم يكن أحد شبيه له أومثيل إذ ليس كمثله شيء.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿قل هو الله أحد﴾[1] الآيات الأربع المباركات نزلت جوابا لمن قالوا للرسول ﷺ من المشركين انسب[2] لنا ربك أو صفه لنا فقال تعالى لرسوله محمد ﷺ قل أي لمن سألوك ذلك هو الله أحد[3] الله الصمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحدأي ربي هو الله أي الإله الذي لا تنبغي الألوهية إلا له، ولا تصلح العبادة إلا له أحد في ذاته وصفاته وأفعاله فليس له نظير ولا مثيل في ذلك إذ هو خالق الكل ومالك الجميع فلن تكون المحدثات المخلوقات كخالقهاومحدثها الله أي المعبود الذي لا معبود بحق إلا هو، الصمد أي السيد المقصود في قضاء الحوائج الذي استغنى عن كل خلقه وافتقر الكل إليه لم يلد أي لم يكن له ولد لانتفاء

(١) ورد في فضل السورة أنها تعدل ثلث القرآن رواه البخاري وروى مسلم عن عائشة أن رسول الله ﷺ بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختتم بـ (قل هو الله أحد)، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها فقال رسول الله ﷺ أخبروه أن الله عز وجل يحبه.

(٢) روى الترمذي عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ أنسب لنا ربك فأنزل الله عز وجل قل هو الله أحد الله الصمد.

(٣) أحد أصلها وحد قلبت الواو فيها همزة قال النابغة:

كان رحلي وقد زال النهار بنا   بذي الجليل على مستأنس وحد

وأحد مرفوع على انه خبر لمبتدأ تقديره هو أحد (وهو) ضمير شأن أي المسؤول عنه هو الله أحد.

من يجانسه إذ الولد يجانس والده، والمجانسة منفية عنه تعالى إذ ليس كمثله شيء ولم يولد لانتفاء الحدوث عنه تعالى.

ولم يكن له كفوا أحد[1] أي ولم يكن أحد كفوا له ولا مثيلا ولا نظيرا ولا شبيها إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. فلذا هو يعرف بالأحدية والصمدية فالأحدية هو أنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله لم يكن له كفو ولا شبيه ولا نظير والصمدية هي أنه المستغني عن كل ما سواه والمفتقر إليه في وجوده وبقائه كل ما عداه كما يعرف بأسمائه وصفاته وآياته.

من هداية الآيات:

١ـ معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته.

٢ـ تقرير التوحيد والنبوة.

٣ـ بطلان نسبة الولد إلى الله تعالى.

٤ـ وجوب عبادته تعالى وحده لاشريك له فيها، إذ هو الله ذو الألوهية على خلقه دون سواه.

سُورَةُ الفَلَق

مدنية وآياتها خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن
شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى
ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

شرح الكلمات:

أعوذ : أي استجير واتحصن.

الفلق : أي الصبح.

---

(١) قرأ نافع كفؤاً. مهموزاً وقرأ حفص كفوا بإبدال الهمزة واواً تخفيفاً.

من شر ما خلق : من حيوان وجماد.

غاسق إذا وقب : أي الليل إذا أظلم أو القمر إذا غاب.

النفاثات : أي السواحر اللاتي ينفثن.

في العقد : أي في العقد التي يعقدنها.

حاسد إذاحسد : أي إذا أظهر حسده وأعمله.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ [(١)] أنه لما سحر لبيد بن معصم [(٢)] اليهودي بالمدينة النبي ﷺ أنزل تعالى المعوذتين فرقاه بهما جبريل فشفاه الله تعالى ولذا فالسورتان مدنيتان وقوله تعالى ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ أي قل يارسولنا أعوذ أي استجير وأتحصن برب الفلق وهو الله عز وجل إذ هو فالق الإصباح وفالق الحب والنوى ولا يقدر على ذلك إلا هو لعظيم قدرته وسعة علمه. ﴿من شر ما خلق﴾ أي من شر ما خلق تعالى من الكائنات من حيوان مكلف كالإنسان وغير مكلف كسائر الحيوانات ومن الجمادات أي من شر كل ذي شر منهاومن سائر المخلوقات. وقوله ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ أي الليل إذا أظلم والقمر [(٣)] إذا غاب إذ الظلام بدخول الليل أو بغياب القمر يكون مظنة خروج الحيات السامة والحيوانات المفترسة والجماعات المتلصصة للسطو والسرقة وابتغاء الشر والفساد. وقوله تعالى ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ أي وتعوذ بالله برب الفلق من شر السواحر وهن النساء اللاتي ينفثن في كل عقدة يرقين عليها ويعقدنها والنفث هي إخراج هواء من الفم بدون ريق ولذا ورد من عقد عقدة ونفث فيها فقد سحر [(٤)]. وقوله تعالى ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ [(٥)] أي وتعوذ برب الفلق من شر حاسد أي من الناس إذا حسد أي أظهر حسده فابتغاك بضر أو أرادك بشر أو طلبك بسوء بحسده لك لأن الحسد طلب زوال النعمة عن المحسود وسواء أرادها له أو لم يردها وهو شر الحسد.

---

(١) هذه أولى المعوذتين والثانية الناس وقبلهما الصمد قال فيهن رسول الله ﷺ لم يتعوذ الناس بمثلهن وفي صحيح البخاري ومسلم عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى قرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده رجاء بركتها.

(٢) حديث سحر لبيد بن الأعصم اليهودي للنبي ﷺ ثابت في الصحيح وغيرهما. ومما رقى به جبريل النبي ﷺ قوله بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر حاسد وعين والله يشفيك.

(٣) روى الترمذي وصححه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ نظر إلى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فإن هذا هو الغاسق إذا وقب.

(٤) روى النسائي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئا وكل إليه. لهذا كره بعض السلف النفث في الرقية وقالوا يرقى ولا ينفث، والجمهور على الجواز.

(٥) الحسد حرام وهو أول ذنب عصي به الله تعالى إذ حسد أبليس آدم وحسد قابيل هابيل وحقيقته تمني زوال النعمة على الغير لتحصل له، أو لا تحصل وهو شر الحسد.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- وجوب التعوذ بالله والاستعاذة بجنابه تعالى من كل مخوف لا يقدرالمرءعلى دفعه لخفائه أو عدم القدرة عليه.

٢- تحريم النفث في العقد إذ هو من السحر. والسحر كفر وحد الساحر ضربة بالسيف.

٣- تحريم الحسد قطعياً وهو داء خطير حمل ابن آدم على قتل أخيه وحمل إخوة يوسف على الكيد له.

٤- الغبطة ليست من الحسد لحديث الصحيح لا حسد إلا في اثنتين إذ المراد به الغبطة.

سُورَةُ النَّاسِ

مدنية وآياتها ست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ
النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي
يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

شرح الكلمات:

أعوذ	: أي أتحصن وأستجير
برب الناس	: أي خالقهم ومالكهم.
ملك الناس	: أي سيد الناس ومالكهم وحاكمهم.
إله الناس	: أي معبود الناس بحق إذ لا معبود سواه.
من شر الوسواس	: أي من شر الشيطان سمى بالمصدر لكثرة ملابسته له.
الخناس	: أي الذي يخنس ويتأخر عن القلب عند ذكر الله تعالى.
في صدور الناس	: أي في قلوبهم إذاغفلوا عن ذكر الله تعالى.
من الجنة والناس	: أي من شيطان الجن ومن شيطان الإنس.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ هذه السورة هي إحدى المعوذتين الأولى الفلق وهذه الناس والأولى اشتملت على أربع خصال يستعاذ منها وهي من شر كل ذي شيء من سائر الخلق والثانية من شر ما يحدث في الظلام ظلام الليل أو ظلام القمر إذا غاب والثالثة من شر السواحر النفاثات في العقد والرابعة من شر حاسد إذا حسد وقد اشتملت هذه الأربع على كل ما يخاف لأذاه وضرره أما سورة الناس فإنها قد اشتملت على شر واحد إلا أنه أخطر من تلك الأربع وذلك لتعلقه بالقلب، والقلب إذا فسد فسد كل شيء وإذا صلح صلح كل شيء ولذا كانت سورة الناس خاصة بالتعوذ من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس. فقوله تعالى ﴿قل أعوذ برب الناس[1] ملك الناس إله الناس﴾ أمر منه تعالى لرسوله وأمته تابعة له أعوذ أي أتحصن برب الناس أي خالقهم ومالكهم وإلههم الذي لا إله لهم سواه من شر الوسواس[2] الذي هو الشيطان الموسوس في صدور الناس وذلك بصوت خفي لا يسمع فيلقى الشبه في القلب، والمخاوف والظنون السيئة ويزين القبيح ويقبح الحسن وذلك متى غفل المرء عن ذكر الله تعالى، وقوله تعالى ﴿الخناس﴾ هذا وصف للشيطان من الجن فإنه إذا ذكر العبد ربه خنس أي استتر وكانه غاب ولم يغب فإذا غفل العبد عن ذكر الله عاد للوسوسة.

وقوله تعالى ﴿من الجنة والناس﴾ يعني أن الموسوس للإنسان كما يكون من الجن يكون من الناس والإنسان يوسوس[4] بمعنى يعمل عمل الشيطان في تزيين الشر وتحسين القبيح. والقاء الشبه في النفس، وإثارة الهواجس والخواطر بالكلمات الفاسدة والعبارات المضللة حتى إن ضرر الإنسان على الإنسان أكبر من ضرر الشيطان على الإنسان، إذ الشيطان من الجن يطرد بالاستعاذة وشيطان الإنس لا يطرد بها وإنما يصانع ويُدَارَى للتخلص منه اللهم إنا نعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر الإنس والجن، فأعذنا ربّنا فإنه لا يعيذنا إلا أنت ربنا ولك الحمد والشكر.

---

(١) لما كان في الناس ملوك، وفيهم من يعبد غير الله تعالى ذكر تعالى أنه ملك الناس وإلههم ومعبودهم الحق الذي لا يستحق العبادة سواه فبه يستعاذ وبجنابه يلاذ.

(٢) جائز أن يكون المستعاذ منه لا الوسواس وإنما صاحب الوسواس وهو الشيطان أي من شر ذي الوسواس والوسوسة حديث النفس.

(٣) صح عن النبي ﷺ أن الوسوسة التي هي حديث النفس الخالية من القول والعمل معفو عنها ولا يؤاخذ به العبد لقوله ﷺ: (إن الله عز وجل تجاوز لأمتي عما حدثت أنفسها مالم تعمل أو تتكلم به).

(٤) قال مقاتل إن الشيطان في صورة خنزير يجري من ابن آدم، مجرى الدم في العروق سلطه الله على ذلك. وفي الصحيح إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ وجوب الاستعاذة بالله تعالى من شياطين الإنس والجن.

٢ـ تقرير ربوبية الله تعالى وألوهيته عز وجل.

٣ـ بيان لفظ الاستعاذة وهو أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كما بيّنته السنة الصحيحة إذ تلاحى رجلان في الروضة النبوية فقال النبي ﷺ إني أعلم كلمة لو قالها هذا لذهب عنه أي الغضب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.